الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جمالية السخرية في شعر سليمان دواق ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمية أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالب:

يونس الحاج موسى.

إشراف الأستاذ:

د. مولاي لخضر بشير.

السنة الجامعية:

(1439-1440هـ) / (2018-2019م)

وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْمًا

سورة طه الآية: ١١٤.

الإهداء

بكل فخر واعتزاز أهدي هذا العمل:

إلى والدي الكريمين ... أمي وأبي.

وإلى التي من أجلها أعيش سعيدا في هاته الدنيا ... زوجتي الغالية.

وإلى كل العائلة الكريمة من إخواني وأخواتي.

أدام الله سعادتنا وأفراحنا.

الشكر والعرفان

من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

أولا أشكر الله تعالى أن وفقني لإنجاز بحثي.

أشكر مشرفي الأستاذ الدكتور مولاي لخضر بشير بما قدمه لي من معلومات وتصحيحات في بحثي.

وأشكر أبي العزيز على ما ساعدني من علمه الواسع.

وأشكر زوجتي التي دائما ما تشجعني وتشحنني بشحنات أمل بها يقوى صبري ويكبر عزمي.

ولا أنسى بالشكر الجزيل أساتذتي وكل من علمني ولو حرفا.

والشكر أيضا لكل من شجعني ولو بكلمة أو دعاء على ظهر الغيب.

ملخص البحث:

السخرية لم تعد كما كانت عليه قديما؛ من هجو وقدح، بل أصبحت بمثابة المنبر الذي يقدم منه النصائح والإرشادات، غرضه الإصلاح والتقويم والدفع نحو الأحسن ونبذ كل ما هو سيء.

فالسخرية استطاع من خلالها الشاعر أن يربيّ المجتمع ويقدم له دروسا في الأخلاق مما طال عليه الفساد، لأنه يؤمن أن للشعر تأثيرا خاصا في النفوس، فراح يعالج به ما يظهر من سوء أخلاق سواء فردية أو جماعية.

لم تقتصر السخرية على موضوع واحد، بل حاولت أن تمس كل الموضوعات التي فيها إصلاح للإنسان، بجمالية تزرع في القلوب بذور البهجة، لتنبت نباتا حسنا.

كلما كانت هنالك جمالية في شعر السخرية كان هنالك تأثير قوي وأوضح في النفوس.

ملخص البحث باللغة الأجنبية:

L’ironie n’est plus la même qu’auparavant, c’est une plate-forme de conseil et d’orientation dont le but est de réformer, d’évaluer et de pousser vers le meilleur et de rejeter tout ce qui est mauvais.

L'ironie, à travers laquelle le poète a réussi à éduquer la société et à lui fournir des leçons d'éthique, qui a longtemps été corrompue, parce qu'il croit que la poésie a un effet spécial sur l'âme, il la traite donc montre les mauvaises morales, qu'elles soient individuelles ou collectives.

L'ironie ne se limite pas à un seul sujet, mais a tenté de toucher à tous les sujets dans lesquels une réforme de l'être humain, une beauté qui sème dans le cœur les graines de la joie, fait germer une bonne plante.

Chaque fois qu'il y a une esthétique dans la poésie de l'ironie, il y a un effet fort et clair dans l'âme.

فهرس الموضوعات

مقدمة: ..... أ–ج

تمهيد: **4**

المبحث الأول: مفهوم السخرية ونشأتها وتطورها **9**

المطلب الأول: مفهوم السخرية: لغة واصطلاحا 10

المطلب الثاني: مصطلحات تشمل السخرية.....13

المطلب الثالث: نشأة السخرية.....17

المطلب الرابع: أسباب السخرية.....18

المطلب الخامس: موضوعات السخرية.....20

المطلب السادس: صور السخرية.....20

المطلب السابع: قيمة السخرية.....21

المطلب الثامن: السخرية في الأدب العربي.....22

المطلب التاسع: السخرية في الأدب الجزائري.....32

المبحث الثاني: موضوعات السخرية في ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمة **34**

المطلب الأول: الأخلاق والتربية 36

المطلب الثاني: الثقافة 43

المطلب الثالث: السياسة 47

المبحث الثالث: الخصائص الفنية في ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمية 51

المطلب الأول: اللغة والأسلوب 53

المطلب الثاني: المحسنات البديعية 56

المطلب الثالث: العاطفة والخيال 59

خاتمة: **64**

قائمة المصادر والمراجع: 67

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه ومن ولاه إلى يوم الدين، وبعد:

إن ما عرف به الأدب المغاربي هو قلة الاهتمام من الدراسين والباحثين، خاصة المغاربة أنفسهم، يهتمون بأدب غيرهم ويتركون أدبهم يأكله الدهر، فالجزائر على وجه الخصوص تزخر بأدبها ولها ثروة لا تعد ولا تحصى، ولكن باحثيها لا يلقون له بالاً، بل يسعون إلى التنقيب في أدب الآخرين، ويتركون أدبهم متحسرا منهم.

فلهذا ندعو أبناء الجزائر أن يهتموا بأدبهم، فكل واحد ينظر إلى محيطه المحلي قبل الوطني، فلابد أن يجد بحرا له بداية وليس له نهاية.

انطلاقا من هذا المبدأ، حاولنا أن يكون موضوعنا حول الأدب الجزائر كعامة، والأدب المحلي خاصة، اخترنا شاعرا من شعراء الجزائر وبالضبط من غرداية، هكذا لتكون دراستي محلية محضة، المراد منها إخراج أدب المنطقة إلى الشهرة، والكشف عن مؤلفاتها.

فكان عنوان مذكرتنا كما يلي:

جمالية السخرية في شعر سليمان دواق "ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمة" أنموذجا

وقد اعتمدنا في بحثنا المنهج الاجتماعي من خلال اسقاط بعض النماذج الساخرة على الظروف الاجتماعية، واعتمدنا بالموازاة المنهج الفني، لما تستدعيه النصوص من الدراسة الفنية والكشف عن جمالياتها، متوسلين في ذلك بآليتي التحليل والوصف في كامل البحث، من خلال العنوان طرحنا الإشكالات الآتية:

إلى أي مدى استطاع الشاعر أن يقنع المتلقي بضرورة السخرية في توجيه الرأي العام إلى التغيير نحو مستقبل اجتماعي واعد بالإصلاح والتطور الإيجابيين؟ كيف يتحقق حضور السخرية جماليا في النص الشعري الجزائري المعاصر من خلال ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمية؟ وما هي الوظائف المرافقة لوظيفتها الفنية؟.

وقد حاولنا أن نجيب عن هذه الإشكالات وغيرها من الإشكالات الفرعية من خلال الخطة التي اعتمدناها، والتي حوت: مقدمة، وتمهيدا، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

تناولنا في المقدمة أهمية دراسة أدب الجزائر، والإشكاليات المطروحة، والمنهجية المعتمدة في الدراسة، وأهم المصادر المعتمدة، إضافة إلى العوائق التي صادفناها أثناء البحث وقبله.

كما تناولنا في التمهيد تعريفا عن الشاعر سليمان دواق، وقدمنا تعريفا شاملا له، ثم تطرقنا إلى ماهية السخرية.

أما المبحث الأول في الجانب النظري، يحتوي على ثلاثة مطالب، المطلب الأول تناولنا فيه تعريفا لسخرية لغة واصطلاحا، ثم مصطلحات تشمل السخرية، ونشأتها، ثم أسبابها، وموضوعاتها، ثم صورها، وقيمتها، ثم المطلب الثاني يشمل السخرية في الأدب العربي مرورا بكل العصور، وأخيرا المطلب الثالث يتناول السخرية في الأدب الجزائري.

في حين خصصنا المبحث الثاني لموضوعات السخرية في الديوان، فتناولنا فيه ثلاثة مطالب، الأول الأخلاق والتربية، أما الثاني الثقافة، والثالث السياسة.

أما المبحث الثالث تناولنا فيه الخصائص الفنية في الديوان، وتطرقنا فيه إلى ثلاثة مطالب، الأول اللغة والأسلوب، والثاني محسنات البديعية، والثالث العاطفة والخيال.

أما الخاتمة فتناولنا فيها أهم نتائج البحث المستخلصة.

وأخيرا قائمة المصادر والمراجع.

أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها: ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمية لسليمان عمر دواق، السخرية في الأدب الجزائري لمحمد ناصر بوحجام، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري لنزار عبد الله خليل الضّمورّ.

أما عن الدراسات السابقة نذكر: السّخرية ودلالاتها في المجموعتين القصصيتين: "وفاة الرجل الميت" و "اللعنة عليكم جميعا" للسعيد بوطاجين لزهير محبوب، تجليات السخرية في القصة العربية المعاصرة بين زكريا تومر والسعيد بوطاجين أنموذجان لزينة جواد و سهيلة طراريست.

لابد لكل باحث صعوبات في طريقه، تجعله يبحث بعناء ولكن مجرد أن ينجز بحثه يصبح العناء متعة، ها قد حققنا بحثنا ونسينا صعوباتنا.

في الأخير لا يسعنا إلا نحمد الله ونشكره على منّه ونعمه، ونتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مدّ لنا يد العون ولو بكلمة، وأشكر جزيل الشكر المشرف الدكتور مولاي لخضر بشير الذي دفعنا وحفزنا وأنار لنا الطريق، وأشكر كل من أفادنا بمصدر أو مرجع يزيد لبحثنا رفعة، وأخص بالذكر مكتبة الشيخ عمي سعيد التي فتحت لنا أبوابها لنستزيد من علمها، ونعتذر على كل تقصير أو سهو صدر منا، والله الموفق لما فيه الخير والصلاح، والحمد لله رب العالمين.

الطالب: يونس بن بشير الحاج موسى.

يوم: ٠٩/٠٦/٢٠١٩.

تمهيد:

١/ سليمان بن عمر دواق في سطور:

✓ **"المعلومات:**

- الاسم واللقب: سليمان بن عمر دواق.
- تاريخ ومكان الميلاد: ٠٩ ديسمبر ١٩٤٤ ببني يزقن ولاية غرداية.
- الحالة العائلة: متزوج وأب لـ (٠٦) أولاد.
- الإطار الأصلي: أستاذ متقاعد –تخصص أدب عربي–.
- الوضعية الحالية: مشرف على النشاط الثقافي بالمعهد الجابري –بنات–.

✓ **الشهادات والمؤهلات:**

- شهادة التعليم الثانوي	معهد الحياة القرارة	جوان ١٩٦٥.
- شهادة الأهلية	أكادمية الجزائر العاصمة	ماي ١٩٦٧.
- شهادة الدراسات الأدبية العامة	جامعة الجزائر	جوان ١٩٦٨.
- ليسانس في العلوم الاجتماعية	جامعة الجزائر	جوان ١٩٧٠.
- شهادة الكفاءة الأستاذية والعلوم الاجتماعية	المدرسة العليا للأساتذة	جوان ١٩٧٠.
- شهادة الخدمة الوطنية		نوفمبر ١٩٧٤.
- قرار التأهيل كأستاذ رئيس ومطبق		سبتمبر ١٩٨٦.

✓ **المسيرة التعليمية:**

تقلّد عدة مناصب تعليمية منها:

- معلم ابتدائي في مدرسة الحياة –القرارة–

- معلم ابتدائي بمدرسة التهذيب –عنابة–

- معلم ابتدائي بمدرسة الهداية –الجزائر–

- معلم ابتدائي بمدارس متعددة للآباء البيض –الجزائر–

- أستاذ ثانوي متربص بثانوية عائشة –الجزائر–

- مشرف على النشاط الثقافي بالمعهد الجابري بنات –بني يزقن–

✓ **النشاط الاجتماعي:**

- عضو تأسيس لجمعية حماية الطفولة –بني يزقن–

- عضو تأسيس للجمعية القطبية –بني يزقن–

- عضو تأسيس لجمعية التراث –بني يزقن–

- عضو مشترك في مؤسسة مفدي زكرياء –الجزائر–

- عضو شرفي في جمعية إزلوان مزاب –بني يزقن–

- عضو تأسيس وعامل في منتدي المربيين اليسجنيين –بني يزقن–

✓ **الإنتاج الأدبي:**

- مقالات صحفية.

- حلقات نقدية تحت عنوان (يعجبني ولا يعجبني) نشرية (تِيسِتْ).

- مؤلفات نثرية ودواوين شعرية (١٦) مطبوعة و (٠٥) مخطوطة تنتظر الطباعة.

- أمسيات شعرية داخل الوادي وخارجه.

✓ **الهوايات:**

- المطالعة.

- نظم الشعر.

- المراسلة.

- الشطرنج.

- الرحلات.

- جمع الصور التذكارية.

-كرة القدم.

✓ **الأسفار:**

زار كلاّ من المغرب وتونس والقاهرة وباريس في مهمات رسميّة وأخرى شخصية"[1].

[1]- أخذت منه تلك المعلومات من خلال لقاء جمعني به يوم ٢٢ ماي ٢٠١٩، على الساعة ١٠:٢٢، ببني يزقن، غرداية، الجزائر، بارك الله فيه وأطال في عمره.

٢/ في ماهية السخرية:

" السخرية ظاهرة أدبية لا يخلو منها أدب أمة من الأمم، وقد نشأت مع الإنسان منذ أصبح قادرا على التمييز بين الأشياء، وتقدير العلاقات الإنسانية، وحاذقا لملاحظة ما يجري في الكون، وما يحدث فيه من مفارقات وأشياء يعدها شذوذا عن الفطرة البشرية تقلقه، وتسبب له ألما نفسيا، يرى نفسه مجبرا على التصدي لذلك الانحراف عن سوء الفطرة فينبري ليسخر منه"[١].

"النقد الضاحك أو التجريح الهازئ، وغرض الساخر هو النقد أولا والإضحاك ثانيا، وهو تصوير الإنسان تصويرا مضحكا إما بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه الذي لا يصل إلى حدّ الإيلام، أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوب حتى سلوكه مع المجتمع وكلّ ذلك بطريقة خاصة مباشرة"[٢].

"هناك فرق بين الأدب الساخر كمفهوم شامل سواء على مستوى الشكل أو المضمون وبين عنصر السخرية الذي يمكن أن يوظفه الأديب في عمل من أعماله بالإضافة إلى عناصر أخرى. لكن عندما تصبح السخرية هي العنصر الأساسي في المضمون والعمود الفقري للأحداث والمواقف، فإن العمل ينضوي تحت بند الأدب الساخر. وعلى الرغم من الفروق النوعية بين السخرية كعنصر وبين العناصر الأخرى من تهكم، وفكاهة، ولماحة، ونقد، وهجاء، وتلميح، ودعابة، فإن السخرية إذا سيطرت وسادت على كل عناصر العمل الأدبي سواء أكان قصيدة أو مسرحية أو رواية أو حتى مقالة، فإنها توظف عناصر التهكم والفكاهة واللماحية والكوميديا في تعميق توجهاتها الفكرية والاجتماعية والفنية، وذلك من خلال توليفة درامية تهدف إلى التعريض بشخص ما أو مبدأ أو فكرة أو أي شيء، وتعريته بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور والضعف فيه"[٣].

---

[١]- الدكتور محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥-١٩٦٢، ط: ١، جمعية التراث القرارة، الجزائر، ٢٠٠٤م، ص: ٩.

[٢]- الدكتور نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط: ١، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، القاهرة-مصر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص: ١٤.

[٣]- الدكتور نبيل راغب، الأدب الساخر، د.ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م ، ص: ٩ و ١٠.

"وليست السّخرية من البساطة بحيث تتاح لكلّ أحد وإنّما تتاح لفئة معيّنة من المجتمع، فشخصية السّاخر تظهر في عّدة جوانب هامّة ألا وهي:

- الجانب الأدبي: يجب أن يتّسم بالتّركيز وحسن التصوير ورشاقة التّعبير.

- الجانب الاجتماعي: فالسّخرية تحتاج إلى الخبرة في المجتمع والدّراية بأحواله وذلك في مختلف مجالات الحياة إمّا الدينية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية.

- الجانب النّفسي: على السّاخر الاتّصاف بمجموعة من الميزات الهدوء التّام، خفّة الروح.

- الجانب العقلي: وهو أهم جانب في شخصية السّاخر الضّاحك فعليه بالجرأة والذّكاء وقوّة الخيال والمنطق والقدرة على الارتجال والعفوية"[1].

[1]- نزار عبد الله خليل الضّمورّ، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٥م، ص: ٩ و ١٠.

المبحث الأول: مفهوم السخرية ونشأتها وتطورها:

المطلب الأول: مفهوم السخرية: لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مصطلحات تشمل السخرية.

المطلب الثالث: نشأة السخرية.

المطلب الرابع: أسباب السخرية.

المطلب الخامس: موضوعات السخرية.

المطلب السادس: صور السخرية.

المطلب السابع: قيمة السخرية.

المطلب الثامن: السخرية في الأدب العربي.

المطلب التاسع: السخرية في الأدب الجزائري.

المبحث الأول: مفهوم السخرية ونشأتها وتطورها:

"إن فن السخرية يعد –بحق– من أروع الفنون الأدبيَة التي أنتجتها قريحة الإنسان وذلك لما ينطوي عليه من رصد لنبضات الحياة معبرا عن الآمال والآلام، من خلال انصهاره في بوتقة الواقع الذي يلقي الأديب وحيه من خلاله، لذا تقف السخرية على رأس الأساليب الفنيّة الصعبة إذ أنّها تتطلّب التّلاعب بمقاييس الأشياء تضخيما أو تصغيرا تطويلا أو تقصيرا، هذا التّلاعب يتّم ضمن معياريّة فنّية هي تقديم النّقد اللاّذع في جّو من الفكاهة والإمتاع"[1].

المطلب الأول: مفهوم السخرية:

أ– لغة:

قبل أن نتطرق إلى المعنى الاصطلاحي للسّخرية فمن المهمّ أن نقف أولا على معناها اللغوي:

لقد عرّفها **ابن منظور** في كتابه لسان العرب: "من الفعل سَخِرَ. نقول: سَخرَ و يَسْخَرُ مِنهُ و به سَخْرًا، و سَخْراً و مَسْخَراً سُخْراً (بالضم)، و سُخْرَةً، و سِخْرِيّاً، و سُخْرِيّاً و سُخْرَيّةً: أي هزئ به"[2].

كما وردت كلمة السخرية في قاموس المحيط: "سَخرَ منه و به سَخْراً و سَخَراً وسُخْرَةً و مَسْخَراً و سُخْراً و سُخُراً: هَزِئَ، كاسْتَسْخَرَ. سَخَرَهُ سِخْرِيّاً و سُخْرِيّاً: كلفه ما لا يريد، وقهره. وهو سُخْرَةٌ لي وسُخْرِيٌّ وسِخْرِيٌّ. رجل سُخَرَةٌ: يَسخر من الناس"[3].

وذكرت في معجم الوسيط: "سَخِرَ منه وبه سَخْراً، وسُخْراً، وسُخريَّةً، وسُخْريَةً؛ هزِئَ به. السُّخَرَةُ: من يسخر من الناس. المِسخرَةُ: ما يجلب السخرية (جمع) مساخِرُ. السخريَةُ والسخريَّةُ: الهزءُ"[4].

---

[1]– زهير محبوب، السّخرية ودلالاتها في المجموعتين القصصيتين: "وفاة الرجل الميت" و "اللعنة عليكم جميعا" للسعيد بوطاجين، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، ٢٠١٢/٢٠١٣م، ص: ٢٥.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، الجزء (١)، ط: ١، درا الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، ص: ٥٨٥.

[3]– مجد الدّين بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، ط: ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص: ١١٧١.

[4]– مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث)، المعجم الوسيط، ط: ٤، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص: ٤٢١.

وفي **القرآن الكريم** ذكرت كلمة السّخرية في عدّة آيات:

قال الله تعالى: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ} سورة البقرة الآية ٢١٢.

قال تعالى: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ} سورة الأنعام الآية ١٠.

وقال تعالى: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} سورة التوبة الآية ٧٩.

وقال تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} سورة هود الآية ٣٨.

وقال تعالى: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون} سورة الأنبياء الآية ٤١.

وقال تعالى: {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ} سورة المؤمنون الآية ١١٠.

وقال تعالى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} سورة الصافات الآية ١٢.

في نفس السورة قال تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ}الصافات الآية ١٤.

وقال تعالى: {وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ، أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ} سورة ص الآية ٦٢،٦٣.

وقال أيضا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ...} سورة الحجرات الآية ١١.

القرآن الكريم أخذ السّخرية على محمل جد، لم يكن أبدا –بمفهوم كل الآيات– إثارة الضحك أو زرع البسمة، لأنها تلحق الأذى بالساخر و المسخر منه.

"... فالهزء ورد في أكثر من خمس عسرة آية، والضحك في أربع آيات، والاستخفاف في آية واحدة"[1].

"ولهذا يمكن أن نقول : إنّ السّخرية أسلوب من أساليب النقد الموجه للأفراد والجماعات، يحارب عللهم، ويجابه تقصيرهم، ويقوّم عيوبهم، مهما كانت وسائله وغاياته"[2].

هذا كله يعود إلى المفهوم اللغوي لكلمة السّخرية، التي نجدها تربط نفسها بكلمتين: الهزء و الضحك، فما هي السّخرية اصطلاحا؟

ب– اصطلاحا:

لم تقتصر السّخرية على مفهوم واحد، بل تنوعت على يد الباحثين، يقول **شوقي ضيف**: "والسّخرية أرقى أنواع الفكاهة، لما تحتاج من ذكاء وخفاء ومكر، وهي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة والكتاب الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات. ويستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم وهي حينئذ تكون تهكما أو تقريعا خالصا. وقد تستخدم في رقة استخداما لاذعا إذ يلمس صاحبها شخصا لمسا رقيقا ..."[3].

أما في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب نجد: "طريقة في الكلام الذي يعبر بها الشخص عن خلاف ما يقصده بالفعل، كقولنا للبخيل: ما أكرمك.

وهناك صورة أخرى للسخرية هي التعبير عن تحسر الشخص نفسه كقول البائس: ما أسعدني. ويلاحظ أن الغرض من السخرية يكون غالبا هجاء مستورا أو توبيخا أو ازدراءا. مثال التوبيخ، قول **أبي الأسود الدؤلي** (٦٥هـ):

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ومثال الازدراء قول **المتنبي** (٣٤٥هـ):

---

[1]- الدكتور نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: ٧٠.

[2]- أ.د. منتصر عبد القادر الغضنفري و زهراء ميسر حمادي، الفكاهة والسخرية في شعر أبي دلامة –قراءة في الصور البيانية–، جامعة الموصل/كلية التربية، المديرية العامة لتربية نينوى، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، العدد/١٣، أيلول/٢٠١٣م، ص: ٣٢.

[3]- الدكتور شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، ط: ٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م، ص:١٠.

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد"[1].

ويعرفها **محمد ناصر بوحجام**: "السّخرية طريقة فنية أدبية ذكية لبقة في الإبانة عن آراء ومواقف برؤية خاصّة، وبصبغة فنّية متميّزة، وهي أسلوب نقديّ مضحك هازئ هادف، وتعبير عن انفعال معيّن كعدم الرضى بتناقضات الحياة وتصرفات الناس، وكشف عن الحسرة والمرارة بطريق غير مباشر، بعيد عن العاطفة الجامحة والانفعال الحاد، قصد الإصلاح والتقويم، والتغير نحو الأحسن، وطلبا للتنفيس عن الآلام المكبوتة"[2].

وعرفها **شاكر عبد الحميد**: "أحد أشكال المقاومة أو قوة خاصة للمقاومة"[3].

فالسّخرية بمدلولاتها الكثيرة نستخلص أنّها: طاقة مكبوتة، يخرجها الساخر ليريح قلبه، ويبعث بها رسائل غير مباشرة –غالبا– أو مباشرة إمّا ايجابية لإصلاح وضع ما، أو سلبية من أجل النّيل من خصم ما.

المطلب الثاني: مصطلحات تشمل السخرية:

أ– الهجاء:

الهجاء فن أدبي قديم، عرف قبل فن السخرية بعصور، فهو: "يصدر عن نفس غاضبة حاقدة في حين أن السخرية تصدر عن نفس ساخرة ناقدة قد تكون مبرأة من الحقد الموجود. والغرض من الهجاء التجريح والتشهير والانتقاص والعدوان في حين أن الغرض من السخرية التهذيب والتقويم والإصلاح ويكثر في الهجاء السب والإقذاع لكن السخرية لا سب فيها ولا إقذاع"[4].

ويقول عنه **سراج الدين محمد**: "الهجاء فن من فنون الشعر الغنائي، يعبر به الشاعر عن عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء ويمكن أن نسميه فن الشتم والسباب، فهو نقيض المدح.

---

[1]– مجدي وهبه و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط: ٢، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت، ١٩٨٤م، ص: ١٩٨.

[2]– الدكتور ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥–١٩٦٢، ص: ٣٢.

[3]– الدكتور شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة (عالم المعرفة)، د.ط، مطابع السياسة، الكويت، ٢٠٠٣م، ص: ٥٢.

[4]– أ.د. منتصر عبد القادر الغضنفري و زهراء ميسر حمادي، الفكاهة والسخرية في شعر أبي دلامة –قراءة في الصور البيانية–، ص: ٣٥.

وأبلغ أنواع الهجاء ما يمس المزايا النفسية كأن يصف الشاعر خصمه بالجبن والبخل والكذب والخيانة ..."[1].

وللهجاء أنواع عدة:

"- الهجاء الفردي يتوجه الشاعر به إلى شخص معين.

- الهجاء الجماعي يتوجه فيه الشاعر إلى جماعة معينة.
- الهجاء الخُلقي: يتناول فيه الشاعر العيوب الأخلاقية للمهجو كالخداع والكذب.
- الهجاء الخَلقي: يتناول فيه الشاعر عيوب الجسد"[2].

ب- التهكم:

"للتهكم علاقة وطيدة بالسخرية، إذ يؤدّي وظيفتها - في كثير من الأحيان – وقد يتقارب معها في الدلالة، وبذلك يعينها على أداء مهمّتها"[3].

فالتهكم هو: "تهكّم/ تهكّم ب/ تهكّم على يتهكّم، تهكّما، فهو متهكّم، والمفعول متهكّم:

- تهكّم فلان فلانا/ تهكّم فلان بفلان/ تهكم فلان على فلان استهزأ به واستخفّ.
- تهكّم على غيره: اشتدّ غضبه وحمقه.
- تهكّم فلان على الأمر الفائت: تندّم"[4].

"بهذا المفهوم يكون التهكم لونا من ألوان السّخرية وأحد صورها الشفافة التي ليس من السّهل تعريفها، ولكنّها تعرف بالذهن اللمّاح. بل إن السخرية تقوى وتشتدّ حتى تصبح هوجاء مهشّمة، تنال من هدفها دون مواربة ... وعندها تسمى تهكّما"[5].

---

[1]- سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، د.ط، دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان، د.ت، ص: ٦.

[2]- المرجع السابق، ص: ٧.

[3]- الدكتور محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥-١٩٦٢، ص: ٢٤.

[4]- فاتن حسين ناجي، مفهوم التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية المجلد/٤- العدد١، د.ت، ص: ٢١٣.

[5]- الدكتور محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥-١٩٦٢، ص: ٢٥.

إن التهكّم يشتغل كثيرا في الجانب المظلم من السّخرية، و " ...هو التعرّض للناس بالشر... ظاهره جد، وباطنه هزل ..."[١].

وهو أيضا: "... نوع من الزجر والردع الشبيه بالعفوية لكن أخف منهما وقعا، الغاية منه هي خدمة الفرد والمجتمع حيث يكون مبعث التهكم هو الرغبة في الإصلاح لشؤون حياة الناس بطريقة غير مباشرة"[٢].

ج- الفكاهة:

"للفكاهة أيضا علاقة متينة بالسخرية في تأدية معناها –أحيانا- وفي مؤازرتها في أداء وظيفتها أحيانا أخرى، فتعبّر عنها تعبيرا صادقا، وبذلك تكون مرادفة للسخرية"[٣].

"الفكاهة بالضم المزاح فهي من فكه، الفاكهة: معروفة وأجناسها الفاكة: الذي كثُرت فاكهته، والفكه الذي ينال أعراض الناس، وفككهم بملح الكلام، أي: أطرفهم، وفكه والفاكهة وفيكهان: وهو طيب النفس بالمزاح، والفكه: الذي يحدّث أصحابه ويُضحكهم، وقوله: تركت القوم يتفكّهون بفلان، أي: يغتابونه ويتناولون منه"[٤].

فالفكاهة: "تلك الصفة في العمل أو في الكلام أو في الموقف أو في الكتابة التي تثير الضحك لدى النظارة أو القراء"[٥].

من خلال تلك المفاهيم فإن الفكاهة كلام يبعث في الإنسان السرور والسعادة، اللذان يروّحان عن النفس ويبعثا فيها الأمل.

---

[١]- عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، آب/٢٠٠٣م، ص:١٧.

[٢]- فاتن حسين ناجي، مفهوم التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية، ص: ٢١٤.

[٣]- الدكتور محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥-١٩٦٢، ص: ٢٥.

[٤]- أ.د منتصر عبد القادر الغضنفري و زهراء ميسر حمادي، الفكاهة والسخرية في شعر أبي دلامة –قراءة في الصور البيانية–، ص: ٣٠.

[٥]- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص: ٢٧٦.

د- الضحك:

"إن الضحك أمر مهم بالنسبة للإنسان، تنزع إليه النفس الإنسانية فتجد فيه طمأنينة وأمنا وراحة، وتنشرح الصدور.

فالضحك طبيعة بشرية تلقي على الحياة ستارا من اللاواقعية فترفع عن الإنسان هموم حياته وتدفعه للتفاؤل وللنظر بفرح إلى المستقبل"[١].

"ويقول العقاد متحدثا عن أنواع الضحك: هناك ضحك السرور والفرح، وهناك ضحك السخرية والازدراء، وهناك ضحك المزاح والطرب، وهناك ضحك العجب والإعجاب، وهناك ضحك العطف والمودة، وهناك ضحك الشماتة والعداوة، وهناك ضحك المفاجأة والدهشة، وهناك ضحك المقرور وضحك المتشنج، وضحك السذاجة، وضحك البلاهة، وما يختاره الضاحك وما ينبعث منه على غير اضطرار"[٢].

فالضحك فطرة في الإنسان، إما يستعمله استعمالا ايجابيّا أو سلبيّا، فالأول دليل على شيء أسرّه والأخير دليل على الوقاحة لأن فيه ازعاج لمن حوله. فهو قرين السخرية والتهكم.

هـ- النادرة، الملحة، الطرفة:

في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب نجد تعريفا شاملا لهم: "وهو القول البليغ المثير للانتباه الذي يميّز بالجدّة والطرافة وإظهار البراعة في التفكير، والقدرة على تسلية القارئ أو السامع والترفيه عنه"[٣].

"والنادرة هي الخبر القصير أو القصة القصيرة التي تضحك، وفي العادة تكون مكتوبة، وكتب الأدب العربي والمصري جميعا تمتلئ بنوادر كثيرة، فيها أخبار عن المعلمين والقضاة ورجال الشرطة والبخلاء وغيرهم"[٤].

---

[١]- سراج الدين محمد، الفكاهة في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، د.ط، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د.ت، ص: ٥.

[٢]- الدكتور شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص: ١٩ و ٢٠.

[٣]- مجدي وهبه و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص: ٣٨٣.

[٤]- الدكتور شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، ص: ١١.

"الملحة: ... الكلمة المليحة، يقال حدّثته بالملح، ويقال أصبنا ملحة من الربيع: شيئا يسيرا منه"[1].

"الطّرفة: كل شيء مستحدث عجيب"[2].

و- الدّعابة:

"أما الدعابة فأخف ألوان الفكاهة، وهي فكاهة الأشخاص الوقورين، إذ يقولون ما يدعو إلى الابتسام الخفيف لا إلى الضحك العالي. والمزاح خطوة بعد الدعابة نحو الضحك أو نحو الابتسامة العريضة، وهو لا يحمل خبثا ولا سما، وإنما يحمل المرح والشعور بالابتهاج"[3].

المطلب الثالث: نشأة السخرية:

لم تكن هنالك نشأة واضحة للسخرية، لذلك "يصعب علينا نحدد تاريخا دقيقا لظهور مصطلح السخرية في المجتمع الإنساني ومع ذلك يمكننا القول إنها موجودة منذ الأزل، مذ أدرك الإنسان ذاتيته

وتميّزه عن الآخر فظهر مصطلح السخرية مع تشكل جماعات البشرية، وظهور مصطلحات القهر السياسي والتسلط"[4].

"تعود الجذور الأولى للسخرية إلى المجتمعات البدائية الأوروبيّة التي مارست هذا الفن، فهي من أقدم المواهب الفطرية عمد الإنسان البدائي الذي كان يميل الضحك والفكاهة، وقد ظهرت بوضوح في علاقتهم منذ قديم الزمان، حتى قبل أن يصقل الإنسان أدبا و فنا، فكان رئيس القبيلة يجلس في كوخ محاطا بالمحاربين فيتسلون بتناول خصومهم وأعدائهم بالهزء منهم، فيضحكون من ضعفهم أو نقصهم، ثم انتقل الإنسان القديم إلى مرحلة ثانية من خلال بحثه عن طريقة تجعل هذا الفن أكثر

---

[1]- مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث)، المعجم الوسيط، ص: ٨٨٣.

[2]- المرجع السابق، ص: ٥٥٥.

[3]- الدكتور شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، ص: ١١.

[4]- بركو وهيبة و رابحي ليلة، جماليات السخرية في أعمال رضا حوحو –أنموذجا–، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، الجزائر، ٢٠١٨/٢٠١٧م، نقل عن: الدكتور رياض نعسان آغا، فن السخرية في الأدب، مجلة الفكر، ١١ يونيو، ٢٠٠٧م.

بقاءا أو خلودا، فأخذ يرسم على الصّحف المكشوفة أو على أي سطح ليّن رسومات ساذجة وقد عرف هذا الفن عند الرومان والإغريق ... ولندل على ذلك ما وصلنا من آثار أدبية ساخرة –أرسطو فانيس– الذي ألّف مسرحية –الضفادع– "[1].

رغم صعوبة تحديد النشأة من قبل الباحثين إلا أن هنالك من يحدّدها ببعض "رسومات كاريكاتورية خلّفها الإنسان القديم على جدران الأهرامات المصرية وكذا في أرجاء المعابد القديمة . تذكر من ذلك –بردية– مصريّة قديمة بيد رسام ساخر مجهول عن طائر يصعد إلى الشجرة، ليس بواسطة جناحيه و إنما بواسطة سلم خشبيّ"[2].

بعد تلك الأقوال نستطيع أن نقول: نشأة السخرية كانت مرتبطة بالرسم الكاريكاتوري ومجالس الحكام الساخرة، وهو تعكيس للواقع المعاش والمألوف ممّا أدى إلى إثارة السخرية.

المطلب الرابع: أسباب السخرية:

للسخرية أسباب عدة ومتنوعة، "فهي تنبع من جانبين؛ أحدهما فرديّ، والآخر جماعي، فالأول يمكن أن بطلق عليه مصطلح الأسباب الشخصية، كأن يعاني الفرد من نقص خُلقي أو حرمان في جانب من الجوانب فيسخر للتعويض عن ذلك، أو لشعوره بالغرور فيندفع لإظهار تكبّره على الآخرين، أو أنّه من تلك الطبيعة التي تمتلك استعدادا فطريّا للسخرية دون دافع، لإغاظة الناس، والتّشفي بهم لإرضاء نزعاته الداخلية. أما الجانب الثاني فهناك صنف آخر من الناس، يتعرض للتحريض نحو السخرية من طرف خارجّ، بسبب عداوة الآخرين له حسدا وظلما، فيسجر للانتقام منهم، وهنا يكون الساخر ناقدا حقيقيا، لديه حساسيّة لنقائص المجتمع فيسخر بهدف الإصلاح بمحاولة لطيفة مهذبة"[3].

---

[1]– زينة جواد و سهيلة طراريست، تجليات السخرية في القصة العربية المعاصرة بين زكريا تومر والسعيد بوطاجين أنموذجان، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، الجزائر، ٢٠١٣–٢٠١٤م، ص: ٢٤.

[2]– بركو وهيبة و رابحي ليلة، جماليات السخرية في أعمال رضا حوحو –أنموذجا–، نقل عن: عبد الحميد الغرباوي، حول الأدب الساخر، منتديات ميدوزا، ٣٠نوفمبر ٢٠٠٥م.

[3]– نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: ١٠ و ١١.

منه يمكن القول: السخرية الأدبية لا تقتصر أبدا على الذات بل غرضها الآخر، وذلك بنقده وتقديم له توجيهات للتقدم نحو الأحسن، والتخلّص من السّيء، والتّحلي بالأخلاق العالية لا الدونيّة.

مما ذكر نستطيع أن نلخص بعض الأسباب التي بها تحصل السخرية، ويلجأ إليها الإنسان:

- "الإساءة.

- إظهار التفوق.

- التخلص من ظروف قاهرة.

- دفع الأذى وتفريغ الطاقة"[1].

- "التخفيف من الآلام التي يعاني منها الناس بتأثير الواقع ومشاكل الحياة اليومية التي تشحن الناس بالطاقة السلبية.

- النقد والإصلاح الاجتماعي للمؤسسّات والأفراد، لتصحيح الأخطاء الخارجة عن قيم المجتمع الفكرية والثقافية.

- لَمّ الشمل وتوحيد الرؤية بين الأفراد في المواقف الصعبة، والمنعطفات الخطيرة، تجاه أي عدوّ سواء داخلي أو خارجي.

- المساهمة في رفع الروح المعنوية، والثقة بالنفس، للتخلص من الخوق والقلق، والمواقف المحرجة، والشعور دائما بالتفوق، والقدرة على الانتصار، وتشكيك العدو في نفسه وموقفه، فيما يسمى بالحرب النفسيّة.

- التحرّر ولو مؤقتا من محاصرة القوة الطاغية والسلطة الأكبر، أو من سيطرة القوانين الجائرة والتفكير الجامد، فيشعرون أنهم ليسوا ضعفاء، فيزيدهم ذلك قوة وحيوية وثباتا"[2].

---

[1]- صبرين مزهود، سوسيولوجيا النص الروائي العربي الساخر رواية العصفور للقصيبي أنموذجا، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي ، تبسة، الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧م، ص: ٥.

[2]- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: ١٢.

المطلب الخامس: موضوعات السخرية:

لم تكن السخرية في موضوع واحد، بل تعددت وتنوعت في جوانب عدّة، وهي:

"أ- العيوب الجسدية أو العقلية أو الخَلقية.

ب- العيوب الخُلقية أو النفسية: صفات منافية للقيم التي يتحلى بها المجتمع كالجبن، والكسل والغرور، وحب الظهور.

ج- التهكم السياسي: بنقد نظام الحكم، وسياسة الحكّام وانحرافاتهم، والجور في أحكامهم، وأخلاق الولاة والوزراء، وطريقة معيشتهم، وما يسمى أيضا بحب الكراسي.

د- السخرية الاجتماعية: نقد العيوب التي تهدد المجتمع بالجمود، والتخلّف، كالبخل، والشح، والحسد، والظلم"[1].

المطلب السادس: صور السخرية:

لم يكن للباحثين رأيا واحد حول صور السخرية، فمنهم من وضعها في خمس عشرة صورة، وآخرون تسع عشرة صورة، وكل تلك الصور تتداخل وتتشابك فيما بينها، ولذلك فقد اختار **الباحث نزار عبد الله خليل الضمور** "أن تكون صور السخرية في خمسة أقسام هي:

أ- الغفلة والتغافل: وتمثّل البلادة في الفهم ونقص الذكاء، أو التظاهر بالغفلة والتجاهل، وعدم المعرفة.

ب- اللعب بالألفاظ والمعاني: خلط الألفاظ المتقاربة، واستخدام الأساليب البلاغية المختلفة، كالتورية، والتعريض، والكناية، والتشبيهات، وغيرها.

ج- الدعابة: وهي النكتة اللطيفة، والطرفة الظريفة، التي يتناقلها الأصدقاء فيما بينهم لإشاعة الابتسامة والضحك والمزاح.

د- التخلّص الفكه: الخروج من المواقف المحرجة بسرعة البديهة، والرد بالمثل، وتحويل الموقف المحرج إلى موقف فكه ضاحك.

---

[1]- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: ١٥.

هـ- التهكم الأدبي: صورة شفافة فيها نقد لاذع مختصر، بهدف لإصلاح خلل عام اجتماعي أو نفسي"[1].

المطلب السابع: قيمة السخرية:

لم يخلق الإنسان ليعيش جدّيا أو ليكون دائما في حالة هزل، فالفاطن من يجمع بينهما ليضمن العيش المريح لنفسه، فالسخرية المباحة التي لا تلحق الأذى بالآخرين كيف لا تكون بيننا في حياتنا اليومية، لندفع بها التعاسة ونزرع البهجة والأمل في قلوبنا، فلا قيمة لهذه الدنيا بدون الابتسامة والضحك، فهما يؤلفان بين القلوب ويبعدا عنهم العداوة والبغضاء، كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «... وتبسمك في وجه أخيك صدقة»[2].

يقول الشاعر **سليمان بن عمر دوّاق**:

"لا شيء يشفي من الأسقام كالضحك فالضحك خير دواء المرء من ضنك

والضـــحك لا يقتضـــي مالاّ تبـذّره ولا مشـــقة بحـــث عـنه في فلك

فما علـــيك ســـوى نفـس تحركـها بنكتة، وهي سر الفوز بالضحـــك

من شاء متعة عيـــش فلـيكن مرحا فإن أبى سوف يُرْدي النفس في درك

هي الحـــياة ضـــياء بابتســـامتها فإن تغب، عشت عـمرا قاتم الحلك

فأسعد النـاس من أبـدى بشـاشتـه وعاش مـرتبطا بالغـير كالمـــلك

من يبتسـم لأخيـه ناشـــرا مرحا كمن تصدّق، يؤجر من لدن مـلك "[3].

---

[1]- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: ١٤ و ١٥.

[2]- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الأدب المفرد، ط: ٣، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤٠٩-١٩٨٩، ص: ٣٠٧.

[3]- سليمان بن عمر دواق، ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمة، د.ط، مطبعة الآفاق، غرداية، الجزائر، ٢٠١٤م، القصيدة منشورة في آخر الكتاب على غلافه.

المطلب الثامن: السخرية في الأدب العربي:

لم تكن السخرية في الأدب العربي وليدة العصر، بل ضربت جذورا في كل العصور، بداية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث.

أ- في العصر الجاهلي:

لم يعرف العصر الجاهلي السخرية كمصطلح، بل كانت تنطوي تحت فن من فنونه الأدبية وهو الهجاء.

"عرف العصر الجاهلي –كغيره من العصور الأدبية- أدبا ساخرا إلا أن هذا الأدب لم يكن رفيع المستوى، بسبب عوائق منعت من ظهوره بمظهر قويّ، كانتشار الأمية، وغلبة الطّابع البدوي على الحياة العامة، وبسبب شظف العيش الذي كان يعاني منه العربي، الذي جعل الناس ينشغلون بالبحث عن القوت، وينصرفون إلى تأمين حياتهم من الإغارات المتكررة عليهم ... وقد يرجع ذلك إلى الصفات التي يتميّز بها العربي، كالتزامه بالصراحة في التعبير، التي تتنافى مع طبيعة الساخر المبدع. وكتأثره السريع وانفعاله، بينما يبدع الساخر حين يتحكّم في انفعالاته وعواطفه، ليتيح لنفسه فرصا للتفنّن والتصرف في ألفاظه وعباراته، بما يضيفه عليها من جمالية، مبعثها التهكم والتفكه والسخرية"[1].

وكانت هنالك "أمثلة قليلة في الأدب الجاهلي لا تبين صورة السخرية وطبيعتها، وأساليبها، ولا تدل على قلتها أو نفيها، لضياع كثير من الشعر والنثر في فترة ما قبل الإسلام، فلا بد أنه كانت هناك سخرية في الجاهلية، كلها ضاعت ولم يصل منها إلا القليل، الذي يظهر منه أنها لم تكن عميقة؛ بل كانت سهلة بسيطة، تبعا لحياتهم غير المعقدة، خفيفة الوقع لا تعدو السخرية الفطرية، التي يكتفون فيها باللمحة والتعريض، دون إلحاح أو تنويع في أساليبها الموجعة"[2].

فالسخرية في العصر الجاهلي لم تعرف كما عرف الهجاء، كأنه يذكرها ولكن باسمه، "فهو نواة السخرية في الأدب العربي"[3].

يذكر بعض شعراء الجاهلية "كلمات تشمل السخرية في شعرهم والتي تأتي في سياق الهجاء.

---

[1]- الدكتور محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥-١٩٦٢، ص: ٣٩.

[2]- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: ١٦.

[3]- الدكتور محمد ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص: ٤٣.

قال امرؤ القيس:

يُفَاكهنا سعدٌ ويغدو لجمعنا بمثنى الزِّقَاقِ المترعات وبالجزُرِ"[1].

وقال "النابغة الذبياني يهجو علقمة بن علاثة ويوازي بينه وبين خصمه عامر بن الطفيل:

علقــمُ ما أنت إلى عامرٍ الـنـــاقض الأوتـــار والـواتـــر

يا عجب الدهر متى سُوِّيا كم ضاحك من ذا وكم سَاخِرِ

علقم لا تسفه ولا تجعلن عرضـــــــك للوارد والصـــادر

ولستَ في السلم بذي نائل ولســتَ في الهيــجاء بالجاســـر"[2].

ومن الأبيات قول الشاعر أبو ذر الغفاري رضي الله عنه:

أربُ يبول الثعلبـان برأســه لقد ذل من بالت عليه الثعالب[3]

نجد السخرية في العصر الجاهلي موضع غضب وهجاء ، ويكون "الهجاء مع فظاظته وخشونته نوعا من السخرية وعلى الرغم مما يبعثه أحيانا في نفس المهجو من الضيق والألم فإنه يثير الضحك عن طريق إبراز العيوب وتجسيمها والمبالغة في تصويرها، إلى درجة تجعل المهجو غير ملائم للصورة الطبيعية التي يجب أن يكون عليها الكائن"[4].

ب– في صدر الإسلام:

الإسلام هذب النفوس وقوّم العقول، أتى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليمحو الشنآن والبغضاء، فلم تكن السخرية كما كانت عليه في الجاهلية، بل جعل لها حدودا ليقف عندها المسلم.

---

[1]– الدكتور محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥–١٩٦٢، نقل عن: ديوان امرئ القيس، دار صادر بيروت (د.ت)، ص: ١٠٠.

[2]– سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، ص: ١٤.

[3]– الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، الموسوعة الشاملة (www.islamport.com)، ص: ٢٠.

[4]– عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ط: ٣، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص: ٢٧٠.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1]، فالحديث يدعو المسلمون إلى حفظ لسانهم، ولا يطلقون له العنان ليصيبوا به من معهم.

ولكن الاسلام لم يكن في وجه السخرية مانعا، بل فتح له أبوابا ليتطور كسائر فنون الأدب، والدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر شاعره حسان بن ثابت أن يرد على الكفار بشعره بما يقدحون في الاسلام والمسلمين؛ قائلا «اهج المشركين فإن روح القدس معك»[2]، فاعتبرت السخرية آنذاك من أبرز الأسلحة التي وقف بها المسلمون ضد الكفار.

قال "حسان بن ثابت يهجو هند بن معاوية يوم أحُد:

أشِرَتْ لَكاعِ وكان عادتَها لؤمٌ إذا أشِرَتْ مع الكفرِ

لعن الإله –وزوجها معها– هند الهنود طويلة البـَظْر

أقبـلتِ زائرةً مبـــــادرةً بأبيكِ وابنِك يوم ذي بَدْرَ

ونسيتِ فاحشةً أتيتِ بها يا هندُ ويحَك سُبّةَ الـدهر"[3].

في تلك الأبيات يهجو حسان هند بهجاء قاس وساخر، حيث صورها بأبشع الصور، صاغها في قالب ذميم من السخرية، غرضه القدح فيها، بما كانت تفلعه في الرسول والمسلمين من سب وشتم وتكذيب الرسول والإسلام.

وقال أيضا وهو يهجو أبا سفيان، ردّا عليه عندما هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألا أبْلِغْ أبا سفيان عنـــي فأنت مجَوَّفٌ نَخِبٌ هــواءُ

بأنّ سيوفنا تركتك عبـــدا وعبدُ الدارِ سادتها الإماءُ

هجوتَ محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجـــزاءُ

أتهجوه ولست له بكـــفءٍ فشرّكما لخيركُما الفـــداءُ

---

[1]– محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الأدب المفرد، ص: ٢٣١.

[2]– أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط: ٢، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، ص: ٥٣٧.

[3]– سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، ص: ٢٣.

فإنّ أبي ووالده وعِرضـــي لعِرضِ محمد منكم وقـاءُ"[1].

من تلك الأبيات نستطيع أن نقول: كان للإسلام سلاحين ضد المشركين، الأول ما هو معروف بالسيوف والرماح، والثاني ما يسمى بسلاح اللسان وهو الشعر بغرض الهجاء والسخرية.

القرآن الكريم خير دليل للسخرية، فبظهور الاسلام هجم عليه المشركون وتصدوا عنه، فسخروا من الأنبياء والرسل وما أتوا به من رسالات سماوية، مخافة منهم أن يتصدى الناس عن آلهتهم، فسخر الله منهم في كتابه العزيز، ووعدهم بوعيده.

قال الله تعالى: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ، لّا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ، وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ، قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ، لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ، فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ، هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} سورة الواقعة من الآية ٤١ إلى الآية ٥٦.

"وهذا السياق يتضمن فيما يتضمن:

- ✓ وصف للعذاب الشديد الذي ينتظرهم في جهنم.
- ✓ وصف لحال هؤلاء المترفين على أساس أنهم فعلا في جهنم.
- ✓ سخرية من حالهم في أثناء العذاب، وسخرية من استقبالهم قبل العذاب.

والسخرية تتمثل في: {فشاربون شرب الهيم}، الهيم مفردة اهيم للمذكرة، وهيماء للمؤنث، وهو من أوصاف الابل، فالابل الهيم هي العطاش، وأصل الهيام العطش الشديد، وهيمان أي عطشان، ولكن لابد أن يكون العطش شديدا ليس في صورة العطش المألوف، حتى أنهم يصفونه بأنه مرض يصيب الابل فيجعلها تعطش فلا ترتوي.

وسخرية أسلوب القرآن هي تصوير هؤلاء المشركين حين يعرضون في جهنم على الحميم وهو نار مذابة فيلقي الله في أجوافهم عطشا هائلا فلا يملكون إلا أن يشربوا من هذه النار السائلة، ومهما

[1]- سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، ص: ٢٥.

اشتد بهم الألم فإن شدة العطش تزيدهم عبّا من هذه النار، فكأنهم حينئذ قطعان من الابل المصابة بداء الهيام الذي يجعلها تشرب وتنهل من الماء فلا ترتوي"[1].

ومن السخرية في القرآن قال تعالى: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلا يَسْتَثْنُونَ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ، فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ، أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ، فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ، أَن لّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ، وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ} سورة القلم من الآية ١٧ إلى الآية ٢٧. بحيث يسخر القرآن من تدبيرهم وتخافتهم وسعيهم متخفين فإذا وصلوا إلى جنتهم أذهلتهم المفاجأة وهالهم ما آلت إليه وفي ذلك تحذير من عواقب البطر والإمساك.

"وقد اعتمد القرآن التصوير الساخر من المنافقين والكافرين، فقدمهم في صور مضحكة، ومن ذلك قوله في المنافقين: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ} سورة المنافقون الآية ٤.

وإنها لنقلة واضحة من السخرية البسيطة إلى السخرية التي تخفي وراها أهداف القرآن التي جاء من أجلها في الإصلاح ومحاربة الرذيلة والتفاهة، والدعوة إلى المثل العليا، والمبادئ القويمة، والسلوك الصحيح، وبهذا أيضا يكون القرآن قد سما بأتباعه عن اتخاذ السخرية مجرد سلاح للتحطيم والهدم، كما كانوا يألفون في الهجاء"[2].

والرسول صلى الله عليه وسلم "كان يمزح ولا يقول إلا حقا، فكاهات طيبة تشرح النفس مع أصحابه وزوجاته، ومع الأطفال والعجائز، ويبتسم للدعابة البريئة، فالإسلام لا ينكر المزاح والفكاهة والضحك ولا يحرمها لكنه ينهي عن الاستهزاء والسخرية التي تؤدي للقطيعة والبغضاء لما فيها من حقد وحسد، يقول تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ...} سورة الحجرات الآية ١١، فالمنهيّ عنه هنا

[1]- الدكتور عبد الحليم حفني، التصوير الساخر في القرآن الكريم، د.ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٢م، ص: ٢١٥ و ٢١٦.

[2]- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: ١٨.

ليست السخرية التي تؤدي إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي؛ ولكنها المفسدة التي تجتمع مع اللمز والتنابز بالألقاب والظن السّيء"[1].

ج- في العصر الأموي:

"إذا انتقلنا إلى العصر الأموي فإنّنا نجد ظروفا استجدّت، طبعت السخرية بطابع خاص، وأفرزت أدبا متميّزا بمميّزات خاصة. فقد أصبح الملك عضوداً، بعد ما كان شورى بين المسلمين أيام الخلافة الرشيدة. نتج عن ذلك خوض في السياسة وموضوع الخلافة، أدى إلى التحيّز إلى آراء معينة، فتكونت الأحزاب، التي اعتنقت وتبنّت آراء ومواقف متباينة"[2].

صراع الحكم في العصر الأموي أدى إلى تطور غرض الهجاء والذم، فهو إشارة إلى ظهور فن السخرية وتطوره شيئا فشيئا؛ خاصة في المجال السياسي، ومع شعراء النقائض[3] الثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، فكان كل واحد يهجو الآخر في شخصه وقومه.

"اشتعل فن النقائض نارا متأججة في العصر الأموي كرجعة جاهلية عنيفة وغلب عليها تقابل المعاني وقلبها وشيوع الهجاء الصريح والهجاء المذقع وعاد التفاخر بالأنساب وذكر الحروب القديمة والحوادث التاريخية"[4].

قال "الفرزدق وهو يهجو قوم جرير:

يا ابن المراوغة كيف تطلب دارماً وأبوك بين حمـــارة وحمـار

---

[1]- المرجع السابق، ص ن.

[2]- الدكتور ناصر محمد بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥-١٩٦٢، ص: ٥١ و ٥٢.

[3]-" النقائض: قصائد كان ينظمها الشعراء في الفخر بقبائلهم والحطّ من شأن القبائل المعادية لهم. فقد كان الشاعر ينظم القصيدة في تمجيد قبيلته، ويعرّض فيها بخصومها من القبائل، فينبري للرد عليه شاعر من الخصوم بقصيدة على نفس الوزن والرّويّ. وقد كانت لهذه النقائض دوافع كثيرة أهمها:

- الفخر بالقبيلة وأمجادها.
- حاجة الناس إلى نوع من التسلية.
- نمو العقل العربي وتدرّبه على الجدل والحوار.

أشهر شعراء النقائض الأخطل والفرزدق وجرير". مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية اللغة والأدب، ص: ٤١٦.

[4]- سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، ص: ٢٦.

قَبَحَ الإله بني كليـــــب إنهـم لا يغدرون ولا يفون لجـار

يستيقظون إلى نهاق حمـــــارهم وتنام أعينهم عن الأوتــار"[1].

السخرية في العصر الأموي لم تكن دائما سخرية لاذعة تهدف إلى القدح في الآخر، بل حملت أيضا في طياتها رسائل وارشادات ترجع الآخر إلى طريق الصواب.

وقال أيضا لرجل من جيرانه:

قعودك في الشرب الكـــرام بلـيّة ورأسك في الإكليل إحدى الكبائر

فما نُطفت كأس ولا طاب طعمُها ضربت علـى حافـاتِها بالمشـافِرِ"[2].

د- في العصر العباسي:

العصر العباسي من أسمى العصور الأدبية، سمّي بالفترة الذهبية وذلك لنضجه وعلوّ أدبه، فقد ظهرت فيه السخرية أشدّ ظهور، وتطورّت وصارت فنا من فنون ذلك العصر.

إن في الأديب العباسي "مؤثرات داخلية يمتلكها الفرد في طبيعته، كحبه وميله للهزل والسخرية والضحك والمرح، أو اللجوء للتعبير عن الألم الذي يتفجر في داخله فلا بد من وسيلة للتنفيس لأن الضحك لا يعبر دائما عن المرح والارتياح والانشراح فهو بمثابة القناع الذي يخفي وجه الحقيقة أحيانا، حيث يكون التنفيس عن الآلام أداة للعلاج والاحتجاج والتقويم للفرد والمجتمع فيضعها في قالب يحاول من خلاله أن يرسم البسمة على الوجوه"[3].

ويرجع ظهور السخرية في ذلك العصر "إلى بدء النظرة المتحررة من الماضي، وإلى تفوّق الشعور الفردي الذي ظهر عند شعراء هذه المرحلة، فأصبح الشعور بالغربة والانفصال عن الآخرين يشكل ظاهرة عامة، يتسم بها معظم الشعراء العباسيين من أمثال بشار واين الرومي وغيرهما"[4].

---

[1]- المرجع السابق، ص: ٢٨.

[2]- المرجع السابق، ص: ٣٠.

[3]- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: ٢٣.

[4]- عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ص: ٥، نقل عن: أدونيس، مقدمة للشعر العربي، ص: ٣٩.

وللعصر العباسي كتّاب كثر كتبوا في فن السخرية منهم:

- "ابن المقفع ت ١٤٢ هـ.
- الجاحظ ت ٢٥٥ هـ.
- ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ.
- أبي العيناء ت ٢٨٢ هـ.
- المبرّد ت ٢٨٥ هـ"[١].
- الأصمعي ت ٢١٦ هـ وغيرهم.

ومن الشعراء:

- "بشارد بن برد.
- أبو نواس.
- دعبل الخزاعي.
- وابن الرومي"[٢].
- أبو دلامة وغيرهم.

قال الجاحظ:

"ما أخجلني قط إلا امرأة أخذت بيدي إلى تجار، وقالت: مثل هذا، ومضت، فعجبت وسألت النجار عن قولها، فقال: أتت إليّ وقالت: أن أصنع لها صورة تُخوّف بها أولادها، وأتت بك مثالا"[٣].

سقلت السخرية في العصر العباسي على يد الجاحظ، الذي أعطى لها صبغة خاصة بنوادره، حيث أخرجها من الهجاء والنقائض إلى فن قائم بذاته.

قال "أبو دلامة يهجو نفسه بأوصاف ساخرة:

ألا أبلغ لديــك أبــا دلامــة فليس من الكرام ولا كرامــه

[١]- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: ٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨.

[٢]- عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ص: ٦.

[٣]- سراج الدين محمد، الفكاهة في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، ص: ٢٤.

إذا لبس العمامـــة كـــان قردا وخنـــزيرا إذا نـــزع العمامـه

وإن لبس العمامة كان فيـــها كثور لا تفـــارقه الكـــمامه

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامـه"[1].

قال الأصمعي: "حضرت البادية فإذا أعرابيّ زرع برّا له، فلما قام على سوقه وجاء سُنبُلُهُ أتت عليه الجراد، فجعل الرجل ينظر إليه ولا يدري كيف الحيلة فيه فأنشأ يقول بأسلوب ساخر:

مرّ الجراد على زرعي فقلت له إلزم طريقك لا تولع بإفساد

فقام منهم خطيب فوق سنبلة إنا على سفر لابد من زاد"[2].

من دلائل تطوّر الأدب الساخر في العصر العباسي؛ "كثرة الموضوعات التي كتب فيها كثير من الأدباء بأسلوب جيّد كموضوع البخل الذي كتب فيه الجاحظ وابن سكرة، وقال فيه ابن الرومي:

يُقتّر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خالد

فلو يستطـــيع لتقـتيـره تنفّس من منخر واحد"[3].

هـ- في العصر الحديث:

إن السخرية في العصر الحديث أصبحت شائعة أكثر من العصور الماضية، بعد أن ولدت في العصر الجاهلي وترعرعت في العصر الأموي لتشيع في العباسي، ها هي تنضج في العصر الحديث وترسخ مبادئها.

فهي وسيلة تعبيرية استعملوها "للغيرة على أوطانهم وعلى شخصيّتهم ومقوماتهم لتغيير أوضاعهم المتردّية"[4].

---

[1]- سراج الدين محمد، الفكاهة في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، ص: ١٨.

[2]- المرجع السابق، ص: ٢٥.

[3]- الدكتور محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص: ٦١، نقل عن: السخرية في الأدب المازني، ص: ٥٦.

[4]- المرجع السابق، ص: ٧٠.

فالسخرية "لا يتقنها أي إنسان وإنما تحتاج إلى مواهب خاصة، لأن من الصعب أن تضحك إنسانا أو تسخر منه، فهي مهارة لابد أن تتوافر لها عدة صفات"[1]، فمن الأدباء الذين برزوا في فن السخرية في العصر الحديث نذكر من بينهم: "يعقوب صنّوع، محمد المويلحي، أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، إبراهيم طوقان، مصطفى صادق الرافعي، محمود النّجار، إمام العبد، مارون عبّود، أحمد فارس الشدياق، عبد القادر المازني، عباس محمود العقاد، محمود بيرم التونسي، حسين الجزيري، عبد العزيز البشري، أحمد رضا حوحو، محمد السعيد الزاهري، الأمين العمودي، محمد البشير الابراهيمي"[2]، وغيرهم.

قال "حافظ إبراهيم في بائع كتب صفيق:

أديمُ وجهك يا زنديق لو جُعلت منه الوقاية والتجليد للكتـــــب

لم يَعلُها عنكبوت أينما تُركـت ولا تخاف عليها سطوة اللهب"[3].

قال" أحمد مطر وهو يصف حكام العرب بصورة ساخرة:

هاك سلاطين العرب

دِزينتان من أبي جهل ومن

أبي لهب

نماذج من القرب

أسفلها رأس

وأعلاها ذنب

مزابل أنيقة

غاطسة حتى الرّكب

[1]- أ.د منتصر عبد القادر الغضنفري و زهراء ميسر حمادي، الفكاهة والسخرية في شعر أبي دلامة –قراءة في الصور البيانية–، ص: ٣٧.

[2]- الدكتور محمد ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص: ٧٢.

[3]- سراج الدين محمد، الفكاهة في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، ص: ٢٣.

وسط مزابل الرّتب"[1].

"الملاحظات التي يمكن أن نسجلها عن الأدب العربي الساخر في العصر الحديث كثيرة منها:

- كانت الفكاهة في العصر الحديث والسخرية والتهكم –في أغلبها– هادفة إلى التقويم والإصلاح، وكانت حريصة على معالجة القضايا العامة والأوضاع القائمة.
- برزت السخرية في هذا العصر وسيلة تعبيرية نقدية لأوضاع فاسدة في المجتمع، وقد أسهمت في توعية الجماهير، وعملت على محاربة الانحرافات الاجتماعية، ومقارعة الاستعمار.
- كانت السخرية تأتي أحيانا صريحة، وأحيانا أخرى تلميحا وتعريضا ورمزا.
- كانت السخرية تتأرجح بين التفاؤل والتشاؤم، حسب طبيعة الموضوع.
- تأثّر الأدب العربي الساخر الحديث –كثيرا– بالأدب العربي القديم"[2].

المطلب التاسع: السخرية في الأدب الجزائري:

الأدب الجزائري من بين الآداب التي برزت في فن السخرية، وأعطت لها طابعا خاصا نظرا لظروفها "الاجتماعية والثقافية والسياسية التي عاشها الجزائريون، في أثناء الاحتلال الفرنسي بخاصّة. وقد عكست هذه السخرية ما كان يستأثر باهتمام الأدباء، وعلى رأسهم من كان له احتكاك وتواصل مع الحياة اليومية، واتّصال بالقضايا العامة والمصيرية للأمة، كالعلماء ورجال السياسة والاجتماع والثقافة"[3].

السخرية في الأدب الجزائري "بارزة في المقالات والقصص والمقامات والشعر الفصيح منه والملحون، بعض الأدباء تكاد كتاباتهم لا تخلو من السخرية كالبشير الإبراهيمي ومحمد السعيد الزاهري ومحمد الأمين العمودي وأحمد رضا حوحو"[4].

---

[1]– هشام حمد الكساسبة، شعرية الهجاء السياسي –دراسة في شعر أحمد مطر–، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١٦م، ص: ١٤٦.

[2]– الدكتور محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥–١٩٦٢، ص: ٧٢ و٧٣.

[3]– د. محمد بن قاسم ناصر بوحجام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، ط: ١، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، شوال ١٤٣٢هـ/ سبتمبر ٢٠١١م، ص: ٢٨.

[4]– الدكتور محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥–١٩٦٢، ص: ٩ و١٠.

"اعتبر الكاتب **سعيد بن زرقة**[1] أن الكتابة الساخرة هي وعي آخر وطريقة مختلفة للوعي بالحياة، الذي لا يرادف في معناه مصطلح التفاهة، ولا يعني في معناه الآخر الاستخفاف بالقارئ انما هو ذكاء الكاتب بتحويل الأوضاع السائدة إلى كتابات ساخرة مضحكة تهدف في معناها إلى نشر الوعي"[2].

قال مفدي زكرياء بأسلوب ساخر وهو يصف الذين يتخذون اللّحى والعمائم ليتظاهروا بالدّين ويخدعون الناس بمظاهرهم:

"وانطوَوْا تحت هيكل الدين ظلما فغدا الدين عنهم في ابتعـــادا

خدعوا الناس بالعمائم كبـــرى، وبنوْا في الرّؤوس ذات العماد

ولكـــم تحتهـــا عقـارب شـــرٍّ وأفاعـــي فتنـــة وعـــنـــاد"[3].

فالشاعر **سليمان ذواق** يعتبر من أبرز شعراء الجزائر الذين كتبوا وبرعوا في فن السخرية من خلال دواوينه وخاصة الذي بصدد هذا البحث.

[1]- سعيد بن زرقة: كاتب وصحفي جزائري، له عدة مؤلفات ساخرة منها: قلة الأدب.

[2]- سعيد بن زرقة، الدول المهمشة للكتابات الساخرة غير ديموقراطية، المحور اليومي (www.elmihwar.com)، ٠٨فيفري ٢٠١٧م - ١٠:٥٥، نشر من قبل: نجيبة صيودة.

[3]- مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، جمعه وحققه: مصطفى بن الحاج بكير حمودة، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص: ٧٣.

المبحث الثاني: موضوعات السخرية في ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمية:

المطلب الأول: الأخلاق والتربية.

المطلب الثاني: الثقافة.

المطلب الثالث: السياسة.

المبحث الثاني: موضوعات السخرية في ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمية:

أصبحت السخرية فنا من فنون التواصل، يعبر بها الأديب ليمرر رسائله بأسلوب جمالي ساخر، فلم تعد السخرية كما كانت عليها قديما عند أغلب الأدباء، بل تعدّى مفهومها إلى النصح والإرشاد، هدفها الإصلاح والتقويم وليس القدح في الآخر وجرح مشاعره.

في الديوان نجد ذلك، صاغ فيه الشاعر قصائد من الواقع بطريقة ساخرة، تناول فيها عدّة موضوعات، وكل موضوع يزخر بقيمه.

المطلب الأول: الأخلاق والتربية:

الأخلاق والتربية دليل رقي المجتمع، فلا عيش ولا نظام بدونهما، فهما أولى من كل شيء في هذه الحياة مهما كان قيمته.

أ- الرفق بالحيوان:

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان -إن من القطط لواعظا-:

وقطة دخلت في الفجر مسجـــدنا وما درت أنها تقصـــى بلا سبـــب

جاءت تريد أجـــورا في بكـــــورتها لكنها حرمت ظلما فلـــم تصـــب

لم يثن من عزمها طرد. لذا رجعت مصرّة، تعلن الإلحـاح في الطلـب

أعيد إخراجـــــها مثنى وثالثـــة فأسلمت أمـرهـا لله في غضـــب

لعلّ طاردها قد ظـــنّها نجســـا لكونها حائضـــا فاحتـاط للرّيب

ما ضرّه لو تغـــاضى عن نجاستها وأعطى حضرتها ما ترجو من أرب[1]

في تلك الأبيات يصور لنا الشاعر حادثة قطة دخلت مسجدا في وقت صلاة الصبح، فانتبه لها أحد المصلين فراح وأخرجها، ثم عاد مرة أخرى فأخرجها، فكررت ذلك فأخرجها، مخافة منه أن تكون ناجسة من حيض أو من شيء آخر. ولكن القطة من عيشها ونمط حياتها نجد أنها من أنظف الحيوانات، فكيف له أن يخشى عليها من النجاسة، بل لو تركها ونظر لحاجتها لعل بها أذى أو جوع أو عطش، فيلبي لها ما عليها.

خلاصة القول: المسلم أولى له أن يكون متخلّقا؛ ومن باب ذلك الرفق بالحيوان، فالشاعر يصور لنا ذلك المشهد في قالب من السخرية خاصة في البيتين الأخيرين، فالشاهد فيهما أن من أخلاق المسلم الرفق بالحيوان خاصة الأليفة التي يستطيع العيش معها.

[1]- سليمان بن عمر دواق، نوادر تربوية ومشاعر حميمية، ص: ٩.

ب- صلاة الجماعة:

يواصل الشاعر في نفس القصيدة:

حضورها في صلاة الفجـــر تزكية لأجر من حضروا حبّا لمكـــتسب

قد راعها قلة الأعـــداد حينئـــذ إذ معظم القوم في نوم وفي حُجُب

والكلّ يعلـم أن الأجـــر مرتبـط كثيره بمدى الأعـداد في القـــرب

إن تعجبوا فاعجبوا من أمة رغبت عن الصلاة فلم تخشـع ولم تتـب

لعـل قطّـــتها يومـــا تذكـرهـــا بمـا عليـها ونحـو الله مـــن أدب[1]

مع نفس المشهد الماضي يروي لنا الشاعر فضل صلاة الجماعة، وذلك بالقطة التي دخلت المسجد وقت صلاة الفجر، حضورها لسبب قلة المصلين في المسجد، لو كان ممتلئا لما وجدت فراغا فيه لتدخل، فالقطة هنا تذكّر الناس بفضل صلاة الجماعة وخاصة الفجر التي دائما تكون المساجد وقتها فارغة لتقاعس الناس منها ونومهم عنها، فمن أخلاق المسلم وتربيته تجاه ربه إذا ناداه فليستجيب له فور سماعه للنداء، لعله يهديه ويغفر له.

خلاصة القول: حادثة القطة والمسجد؛ استطاع الشاعر أن يعطي لنا منها نصيحتين: الرفق بالحيوان -كنصيحة ثانوية- وفضل صلاة الجماعة -نصيحة رئيسية-، والسخرية تكمن في القطة التي تتحدّى الإنسان في صلاة الجماعة، هي ليست مكلّفة وحضرت الصلاة في وقتها، أمّا المسلم مكلّف ففضّل النوم عن الصلاة.

ج- التحكم في الشهوات:

الشاعر يروي لنا مشهدا بعنوان -قط يتحدى طبيب أسنان-؛ قائلا:

نوادر القط لا تحصى ومن قدَم وكلّها مورد للوعـــظ والحكـم

وهـذه طرفـــة أروي غرابتـــها على لسان حكيم كيّس، فهم

[1]- المرجع السابق، ص: ٩.

لعلّه إذ رواهـــا كان مفــترضا وقد أراد بها درسا من القيـــم[1]

في تلك الأبيات يقول فيها الشاعر أن: نوادر القط كثيرة ولا تحصى من القدم، وكلها مصدر للنصح والعبر، بعدها يروي لنا حادثة القط على لسان الطبيب بتعبير ساخر؛ قائلا:

فقال عن نفسه، قد كنت في سفر في مجمع لســـراة القـــوم محتـــرم

وبعد مأدبة مدّت علـــى شـــرف غنـيّة بغـــذاء طيّـــب دســـم

تمدّد القوم في نـــوم بمـــرقدهـم وكان منهم شخير بالـــغ العـــظم

لذاك قمت إلى ركـــن لعـــلّ بـه بعض الهدوء، بعيدا عن أذى النّوم

ولم أكد أُغمض العينين من رهـق حتى شعرت بأنفاس بقـــرب فمي

فتحت عينيّ كالفنجان من هلـع وهالني أن رأيت القـــط في نهـــم

يشمّني، لست أدري كنه حاجته لعـــله جـــاءني ليـــلا كمنتـــقـــم

لكنّني ما رأيت القـــطّ قبلئـــذ فكيف يقصـــدني ســـرّا كمتّهـم

لذاك قلت لعل القط في شبـــق يريد قبـــلة جنس لـــذّ في الظّلـــم

ولم يجد غير شخصي طالما عزفت عنه الحبيبة، أو كانـــت من الصّوم

أو ظنّني قطّـــة أخرى فـــراودني بقبلـــة يرتجيهـــا غيـــر محتشـــم

فقد تبيّن هذا الخُلْـــق في بشـــر برغم دينهم داسوا علـــى القيـــم

فإن أتى قطـــنا يومـــا لبانـــته بغير شرع فمعـــذور، ولم يلـــم

أستغفر الله من ظـــنّ ومن تهـــم فالقط أوفى من الإنســـان للحـــرم

لذاك قلت معـــاذ الله أتّهمـــن قطا بريئا بسوء الفعـــل لم يقـــم[2]

---

[1]- المرجع السابق، ص: ١٠.

[2]- المرجع السابق، ص: ١٠ و١١.

الطبيب في تلك الأبيات يحكي لنا عن مأدبة دسمة حضرها في سفر، بعدها خلد إلى النوم، في نومه أحسّ بأنفاس بالقرب من فمه، فتح عيناه من جزع؛ فإذا بقط بجانبه يشمّ فمه، لم يعرف ما الذي يريده القط منه، فتعجّب منه قائلا: لم أر القط هنا قبل نومي فكيف أتى إليّ؟، ممكن أنه في شدة من الشهوة فأرادا أن يقبلني في الظّلام، فلم يجدي غيري لابتعاد حبيبته عنه أو أنها صائمة، أو ممكن رآني قطة فأغراني بقبلة دون حشمة، فذلك التصّرف يفعله الإنسان رغم دينه.

السخرية في تلك الأبيات: أن الشاعر قال عن القط: إذا أتى يوما حاجته بغير شرع فلا يلام لأنه غير عاقل، ثم برّء القط من ذلك العمل ووصفه أنه أوفى من الإنسان من الوقوع في الحرام.

خلاصة القول: أن الإنسان إذا لم يتحكم في شهواته وأطلق لها العنان في الحرام فليعلم أن الحيوان أفضل منه، لأن الإنسان بعقله ودينه أما الحيوان لا دين ولا عقل.

د- القدوة:

تبعا للقصيدة السابقة يقول الشاعر:

ما جـــاء مقتربـــا منّي مشافهـــة ... إلا لأمر، وهل يخفى عـــلى فهـــم؟

فحاسّـــــة الشم ذلّتـــه بلا حـرج ... على فم لم ينظّف يغـــري بالقـــرم

كأنّـــــه يتحـــــــدّاني بجرأتـــــه ... وقد درى أنّني بالفـــعل لم أقـــم

بما دعوت إليه النـــــاس قاطبـــــة ... أنا الطّبيب، فما أحراني بالنّدم!...

يا ليت من يعزم الأضياف يحملهم ... على تنـــــاول فرشاة لغســل فـم

كي يسلموا من عداة الليل حينئذ ... يقال عنه جـــواد بالـــغ الكـرم

قل للطبيب الذي يسدي نصائحه ... لغيره امتـــثل للنصـــح تحتـــرم

بذا تكون مثالا يقتـــدى أبـــــدا ... فالعلم ينشـره تطبيـــق ملتـــــزم

فلا تلم صاحب الإكرام في سفـــه ... إن كنت جئت بلا فرشاة. لا تلم[1]

[1]- المرجع السابق، ص: ١١ و١٢.

في نفس المشهد الماضي –القط والطبيب– يقول الطبيب: أن القط لم يأتي إليّ إلا لأمر دلّه عليه حاسة الشّم؛ وهو فمي الذي يطلق رائحة الطعام فأسالت لعابه، كأنّه علم أنيّ لم أنظّفه فتحدّاني بما دعوت إليه الناس فلم أطبّقه.

السخرية هنا: أن القط تحدى الطبيب في عمله، فأعطى لد درسا في القدوة، وكأنه يقول له: قبل أن تأمر الناس بشيء عليك فعله أنت الأوّل لكي تكون مثالا يحتذى به.

خلاصة القول: القدوة أمر ضروريّ في حياة الإنسان، فلا بد للمعلم والمربي أن يمتثل بأوامره أولا قبل أن يأمر بها الآخرين، فمصداقية أوامره في الامتثال بها هو.

هـ– الكبر والغرور:

وفي قصيدة عنوانها –طاووس بشري– يقول الشاعر:

رآك طاووسنا يومـــا وفي عجـــــب فقال عنك كـــلاما منتهى الظّرف

يا نافخا جلده كبـرا بلا سبـــــب ألست في الأصل مخلوقا من النطف

ألست حامل خبث في الحشا نجس ينم عنه قبيـح الريـــح في قـــرف

وما نهايتك القصـوى إلا جـــدث تزج فيه كمَـــنْتون مـــن الجيـــف[1]

في تلك الأبيات يسخر الشاعر من الإنسان الذي أصابه مرض الكبر والغرور ويصفه بأبشع الأوصاف، يشبهه بالطاووس؛ الذي دائما ما يعطى به الدرس في الكبر والغرور بجماله وريشه والمشي رافعا رأسه ظنا منه أن ليس في هذه الدنيا أجمل منه وكل الخلق باشع الجمال.

شبه الشاعر الذي يتكبر وينفخ جسمه وجلده كالطاووس عندما ينفخ ريشه، فتساءل متعجّبا: أليس أصل الإنسان نطفة تخرج من مكان نجس ولا ترى بالعين المجرّدة؟، وحاملا في بطنه روائح لا تستساغ؟، فما نهايته إلا القبر فيصبح جيفة فيه، لو ترك دون الجدث لبعث في الهواء روائح نتنة لن يبق بجانبه إنسان إلا عديمي الشم.

ويواصل الشاعر قصيدته قائلا:

[1]– المرجع السابق، ص: ١٨.

لِم انتفاخك يا هذا وفي بطــر؟ لِم التّرفّع من عُجب وفي ســـرف؟

أغرّك الذيل في الطاووس يرسله فصرت ترسل ذيل الكبر كالسّعف؟[1]

هنا يتعجّب الشاعر ويسخر من المتكبر، ويطرح أسئلة يستغرب فيها لحالته: لماذا تنفخ جسمك يا إنسان وبكبرياء؟، ولماذا تتكبر بالإعجاب من نفسك وتجاوزت كل الحدود؟، هل أعجبك ذيل الطاووس عندما يطلقه في السماء فأطلقت تكبرك كجريد النخل وورقه.

ويواصل الشاعر قائلا:

قد كنت مثلك منفوخا وذا صلف لذا اعتبرت حقيرا بالغ السّخف

إن التكــبّر للأخـــلاق منقصــة ومن أصيب به في منتهى الخرَف[2]

في تلك الأبيات يتكلم الشاعر بلسان الطاووس وهو يخاطب المتكبر ويحذره من الغرور والكبر قائلا: لقد كنت مثلك منفوخا ومتعجرفا، فنُظر إليّ بنظرة احتقار وضعف، فالتكبر دليل على نقص التربية والأخلاق، فمن أصابه فهو فاسد العقل والقيم.

بعد ذلك يقول:

فلا يلوم أناسا إن هــمُ اجترؤوا عليه في سـمر بالهـزء والطّـــرف

يا رافلا في ثياب العجب معتقدا عزّا لديه يدوم الدهــر في كنــف

تذّكرِ الموت والآجـــال عاجلــة ولن يفيدك ما أظهرت من صلف[3]

فالشاعر يقول للمتكبر: لا تلوم الناس إن جعلوك طرفة في حديثهم، فالمتعجرف لن يدوم له ذلك لأن الإنسان مآله الموت لا محالة، بعد ذلك لن يغنيك غرورك شيء أمام الله.

ويواصل قائلا:

لا يرفع المرء عند الله غيــر تُقــى فمن أصاب هدى يحظى بذا الشّرف

---

[1]- المرجع السابق، ص: ١٨.

[2]- المرجع السابق، ص: ١٨.

[3]- المرجع السابق، ص: ١٨ و١٩.

هلا علمت أخي من أنت معتبرا بما ذكرت أم أنّ العقـل في ســـدف؟

ما أنت إلا بهذا الكِبْر في نظـري طاووس زيف قبيح الشّكـل فاعترف[1]

من الأبيات نقول: أن الإنسان لا يرفع عند الله إلا بعمله وتقواه، فمن أصيب بالكبر فعند الله من الصاغرين، فليعلم المتكبر أنه مثل طاووس زائف الجمال ومكروه الشكل.

خلاصة القول: الكبر والغرور صفات منبوذة في الإنسان، تنّم عن خلل في التربية والأخلاق وسوء التنشئة، فمن تواضع رفعه الله، ومن تكبّر صغّره الله.

بهذا كله نجد أن الشاعر يعالج قضايا في الأخلاق والتربية بأحداث واقعية صاغها بطريقة ساخرة ومرحة، يصحح من خلالها مبادئ وقيم التي يجب على الأنسان أن يتحلى بها خاصة المسلم.

[1]- المرجع السابق، ص: ١٩.

المطلب الثاني: الثقافة:

بالثقافة يسهل الناس التواصل فيما بينهم، وتقربهم لبعض البعض، وتضمن لهم عيشا منظما ومتماسكا.

أ- أدب الحوار:

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان -ثقافة الحوار-:

أدب الحوار ثقافـــة تُتعلّـــــم فلئن ظفرت بها فأنت الأعلـــم

كم مجلس فقدَ الحوار منظّـما والكل في صخب يرى يتكـــلم

يتجاذبون حديثهم في لحظـــة وحديثهـــــم بمعيّـــة لا يفـــهم

لا تدري أيّهم المخاطب فيهم ومَنِ المخاطب، فالجميع يدمدم

صار الرجال كنسوة في لغوهم لا فرق بينهما. وإنّي أجـــــزم[1]

استهل الشاعر قصيدته بأهميّة ثقافة الحوار، ثم وصف المجالس التي بدونها؛ بحيث عندما تغيب عنها يكون الحديث في ذلك المجلس لا يفهم ولا يُعرف الخاطب من المخاطب لأن الجميع يتكلم، ثم شبّه الرجال الذين لا يملكونها بالنساء، لأن النساء يضرب بهنّ المثل في اللغو وعدم اكتسابها.

فواصل قائلا:

فَلَكَم وجدت القوم حين حوارهـــم أصنـــاف شتّى، أصطفِيها إليكم

صنف شبيـه في الحـــوار (بقنفذ) وحديثه مُـــؤذٍ كسهـــــم يؤلـم

والبعض يضمر في الحديث مكايِدا متربّصا (كالذّئب) يعـــوي ينقم

والبعض ينظر من عـــلٍ (كزرافة) وكلامـــــه نـــــزرٌ بكبْر يوسَـــم

والبعض ينهق (كالحمار) وصـــوته يؤذي المسامـــــع. مالـه لا يكتُم

[1]- المرجع السابق، ص: ٢٠.

والبعض يفتكّ الحـــديث بجـــدّة لا شيء يوقفـــه (كثَوْر) يهجـــم

والبعض (ضفدعة) لديـه تبـــوّل إن ما مســكت به، أراك ستـــندم

لولا الحياء لزدت وصـفا مؤلـــما وضربـــت أمثـــلة لمن لا يعلـــم[1]

في تلك الأبيات يصف الشاعر الذين لا يملكون أدب الحوار بالحيوانات، حيث قسمهم إلى أصناف، كل صنف لديه حيوان يشبهه، القنفد بالإنسان الذي يؤلم الناس بكلامه، الذئب بالذي يرسل في كلامه قنابل غير مباشرة، الزرافة بالذي يتكبر في كلامه، الحمار بالذي يرفع صوته حتى يؤذي به الآخرين، الثّور بالذي يقاطع كلام الناس لكي يتكلم، ضفدعة بالذي لا يتوقّف عن الكلام حتى يحرم الآخرين منه. ثم قال لولا الحياء لقلت أوصافا مؤلمة. السخرية هنا تكمن في الأوصاف التي وجّهها الشاعر لتلك الأصناف من الناس الذين لا يحسنون أدب الحوار.

ويكمل قائلا:

لكن لدينا في الحـوار نمـــــــاذج أشهى إلى قلب اللّبيب وأنعم

يـــا حبّذاه محـــاور بلـــباقـــة والوجه منه بشاشة وتبسّـــم

يسقيك من عذب الحديث حلاوة يصغي إليك بدوره، يتفهّـــم

ولخِفّة في روحـــه جلســـاتـــه تضفي عليك سعادة تُتنسّم

لا يدّعي كسب الحقيقـة وحـــده بل قد تراه –تواضعا– يتعلّم

نِعم الجليس. تودّ لـــو فارقتـــه يوما، تعود إليه أنت المغـــرم

هلاّ اقتفينا واهتدينـــا بهديـــه إنّ الحوار ثقافـــة تُتعـــلـــم

من جاء نادينا، فمرحـــى بينـــنا ما دام يحترم الحـــوار ويلزم[2]

[1]– المرجع السابق، ص: ٢٠ و٢١.

[2]– المرجع السابق، ص: ٢١.

فالشاعر هنا يذكر نماذج حسنة من أدب الحوار بعد أن تطرق إلى النماذج السيئة، ذكر عدّة محاسن منها: اللباقة في الكلام، الوجه البشوش والمبتسم، خفّة الروح، عذب الكلام وحلاوته، عدم التحيّز في الرأي.

خلاصة القول: الشاعر عالج موضوع أدب الحوار بأسلوب ساخر بذكره لأصناف الناس التي تشبه الحيوان في حوارها، ثم قدّم نقاط التي بها نحصل على ثقافة الحوار.

ب- الهاتف المحمول:

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان -النقال أو المحمول قرين السوء-:

مسٌّ من الجن أم ضرب من الخَـــوَرِ أصاب عقل الفتى في أوّل العمر؟

ملي أرى أُذنه في السّير يمـــسكها وصوته للملا في منتهى الهـــدر؟

من ذا يخاطـــب إيماء لـه بيـــد؟ طورا ضحوكا وطورا بادي الكـدر

أيا تراه سليـــم العقـــل كاملـــه أم يا تراه مصاب بالغ الخـــطر؟

قد قيل لي: إنّه النّقـــال يحملـــه وما به مـــن أذى، كلاّ ولا ضـــرر

فقلت واعجبا من عصـــرنا فلقـد صار المصاب سليما، يا لذا القدر!

لو كان حقا سليـــما ما تجـــرّأ أن يفشي أمام الملا ســـرّا بلا حـــذر

وليته قد أصيب اليـــوم في خلـــد فحسب، لكن مصاب غير منحصر

أو كان حقّا تقيّا ما استفاض هوًى ولا استجاد رديءَ السمـــع والنـــظر

أو كان حقا غيورا ما استباح حمًـى لغيره باتّصـــال، ســـارق الصّـــور

أو كان حقّا حريصا في مدى زمـــن لما هذى مسرفا في الوقت من هـــدر

أو كان حقّا أمينا ما قضـــى سفهـــا أمواله في حديـث اللّـــغو والنّكـــر

أو كان حقّا ذكيا لاستـــراح ولـــم يعط المجال لنـــذل مقلـــق قـــدر

بل إنّ أخطر ما في الأمـر أنّ بـــه مضرّة لو وعى ما جـار في النّـذر

فذا جهاز يصيب المـرء في بـــدن مدمّر لخـــلايا الجســم من شرر

يا حاملا حتفــه، جهــلا عواقبــه هلاّ وعيت هلاكا، يا بئس منتــحر

أدعوك صدقا إلى الإفلات من خطر فأحزم الناس من قد فـــاز بالعــبر

وصان أهـــلا له ممـــا يضرّهـــم وهل أشـــدّ من النّقال في الضّرر

ويا مصابا بهـــذا الرّزء في صـــغر عجّل علاجك قبل العجز في الكبر[1]

الشاعر في تلك الأبيات يسخر من النّقال ومستعمليه، استهل قصيدته بتعجّبه من الفتى الذي رآه يتكلم في الشارع لوحده، فتساءل عن الذي أصابه؛ لعلّ به أذى، فأجابوه أنه يتكلم في المحمول وليس به أيّ ضرر.

ثم تعرّض بعد ذلك إلى مساوئ النّقال قال عنه: أنه يفشي الأسرار، يستجيد رديء الكلام، ينشر الرذيلة، يسرف الأموال، مضرّ للصّحة.

بعد تلك المساوئ يقدّم نصائحه قائلا: من لا يعرف كيف يستعمله قد يؤدي بنفسه إلى التهلكة، فالنّقال أكبر ضرر للأسر والعائلات فيجب أن نصونهم من، فمن أصابه مصيبة المحمول في صغره عليه أن يستدرك الوضع قبل كبره.

خلاصة القول: أن المحمول آفة العصر، لا يستعمله إلا راشدا ومثقفا، يعي جيدا الشيء الذي بين يديه، فيجب على الإنسان أن يحصّن نفسه منه خاصة أهله وبالضبط صغار السن، وذلك بالثقافة الكاملة عنه.

[1]- المرجع السابق، ص: ١٠٣ و١٠٤.

المطلب الثالث: السياسة:

السياسة مبدأ يتعامل به الشعوب فيما بينها، وهي وسيلة للتواصل وتسيير زمام السلطة والحكومات.

أ- الصراع على الكرسي:

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان -عدوى الكراسي-:

هل سمعتم عن مديـــر ساد من غير اعتمـــــــاد؟

وجد الكرسيّ خِلـــوا فاعتـــــــلاه باعتـــداد

لم يهب حين رأى صا حب الحقّ من البلوى ينادي

مستغيـــثا بحضـــور كي يروا إجـــرام عـــاد

فتحـــدّاه جريـــئا في ثبـــــات وعنـــاد

ناظرا بالسّخط شـــزرا فاقدا كـــــل رشـــاد

إنّها العدوى أصابـــت قلـــب قطّ كالعبـــاد

فتولّى العـــرش غدرا شأن حكّـــام عـــداد

ليس بدعا إن وجـــد ت القط بالكرسيّ ينـــادي

طالما يسمـــع يومـــا بانقلابـــــات شـــداد

أصبح الكرسيّ يغـري باضطهـــاد في البـــلاد

فمتى يصبـــح يومـــا آية الحكـــم السّـــداد[1]

عدوى الكراسي هو مرض يصاب به الحكام خاصة العرب، فالشاعر في تلك الأبيات ينقل لنا حادثة كان حاضرا فيها، فالقط دائما ما يكون محل تلقين درسا للإنسان، حيث وجد الكرسي المدير

[1]- المرجع السابق، ص: ١٣.

فارغا فاعتلاه ليقول له: حان دوري وانتهت عهدتك، الكرسيّ للجميع بالتداول وليس حكرا للبعض، "فنحن في عصر الديمقراطية والتداول على السلطة، فارحل"[1]. هنا نجد أن القط أصابه مرض الكرسي، فتر أّس السلطة غدرا دون المشاورة، كما حدث ولازال يحدث في الدول العربية من الانقلابات السياسية وحبّ السلطة، فنجده لا يعتليه أحد إلاّ وخلّف وراءه قتلى وشرّد كثيرا من الناس. في الأخير يتساءل الشاعر وفي حيرة: متى تصبح السلطة في موقف الصواب والاستقامة؟.

خلاصة القول: الشاعر يصوّر لنا موقف القط والمدير بما يحدث للحكام مع الكراسي، فسخر منهم قائلا: مرضكم لم يقف في الإنسان بل تعدى إلى الحيوان، لأن مستواكم أصبح من نصيبهم.

ب– احتفال رسميّ:

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان –زفاف حمارين–:

زفّت اليوم للحمار أتـــــان بمزبد من احتفـــاء عجيب
حملوها على السّيارة قـــدرا كعروس معـــــدّة لحبيـــب
شيّعوها بموكب مستفيـــض دار حول البلاد للتّرحيـــب
وتعالت من المراكب أجراس وأهازيج في الفضاء الرّحيـب
تعلن الفرحة العظيمة شـــأنا في طقوس من القران الغريب
قدّموها لزوجها في ابتهـــاج بزغاريد مثل إنـــس حبيب
سائلين الإله نسلا عديـــدا يحفظ الجنس من فناء رهيب
يا لهم من حماة جنس حمير عرفوا قدرها بحسّ لـــبيـــب
أكبروا دورها العظيم قديمـــا وحديثا مدى الجهاد الدؤوب
يا ولاة الأتان هلاّ سألتـــم رأيها في الزّواج قبل الهـروب؟
من حمار لم يستشر في قران ومنـــــاه لربّما في لعـــــوب

[1]- المرجع السابق، ص: ١٣.

أي ذنب جنيتموه إذا مـــا طلّقت منه في زمان قريـــــب

عجبا منكم أردتم جـــــزاء فجنيتم كبـــــائرا من ذنـــوب[1]

الشاعر في تلك الأبيات يسخر من جمعية[2]؛ قامت بحفل زفاف لحمارين، زوجوهما بمراسيم إنسانية، حيث أقيمت لهما كل أنواع الأهازيج في موكب حافل تحت أجراس السيارات، جالوا بهما في أنحاء البلدة، حتى أدخل الزوج –الحمار– على زوجته –الأتان– في غرفة الزواج. ثم أشادت تلك الجمعية بدورهما العظيم قديما؛ وهو ما قاما به من جهد إبان الثورة الجزائرية وما قدما للإنسان من خدمة، مخافة منهم أن ينقرضا؛ أقيما لهما ذلك الحفل للحفاظ على نسليهما.

هنا يطرح الشاعر على تلك الجمعية أسئلة ساخرة: يا أصحاب الأتان هل استشرتم إياها للزواج؟، وهل قبل بها حقا الحمار؟، فإذا طلّقها فقد اقترفتم في حقهما ذنوبا، فالذي فعلتموه ما هو إلا عمل شنيع.

ثم يواصل قائلا:

أيّها المشفقون جهلا علـــى من ما لهم في الزّواج أيّ نصيـب

ليت شعري اهتممتم بشبـــاب أعزب فارغي الجيـوب كئيب

يتمنّى الـــزواج دون اقتـــدار قلبه بالهيـــام جـدّ لهيـب

لو منحتم له المعـــونة يومـا لزواج فريضـــة بوجـــوب

بدل اللّهو بالبهـــائم ظـــنّا أنّكم قمتم ببرّ خـــصيـب

مثلكم يستحـــق منّـــا ازدراء فهو في حكمنا أخسٌّ كذوب

يدّعي الرّشد خفي السلوك رياء ونفاقا ويا له مـــن معـيب

من أراد الحراك في الخير نبـــلا يسأل الشّرع قدوة بالحبيـــب[3]

---

[1]– المرجع السابق، ص: ١٤ و١٥.

[2]– المرجع السابق، ص: ١٤.

[3]– المرجع السابق، ص: ١٥.

بعد حادثة زفاف حمارين؛ قدّم الشاعر لتلك الجمعية نصائح فقال لهم: أنتم تشفقون على من لا يعنيه عليه الزواج، لو ذلك الجهد بدل أن تقدموه للحيوان جعلتم إيّاه في الإنسان لكان خيرا عظيما، فمن الشّباب من يتمنى الزواج فلا يستطيع لفقره، فبدل اللّهو بالبهائم اعتنوا بذلك الشباب وقدموا لهم يد العون واحصنوهم، فإذا أردتم الخبر ففي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم كلّ الخير.

خلاصة القول: الجمعيّة كأنها لم تجد عملا، فراحت تقيم أعراسا للبهائم، في حين أن الشارع مزدحم بالعزوبية لقلة الامكانيات.

المبحث الثالث: الخصائص الفنية في ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمة:

المطلب الأول: اللغة والأسلوب.

المطلب الثاني: المحسنات البديعية.

المطلب الثالث: العاطفة والخيال.

المبحث الثالث: الخصائص الفنية في ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمة:

بعد أن رأينا موضوعات السخرية في الديوان، الآن نتطرق إلى الخصائص الفنية فيه. قسم الشاعر الديوان إلى خمسة محاور، فبحثنا هذا اشتغلنا فيه على محورين فقط، لأن ليس كل محاوره فيها السخرية، اخترت الأول –دروس وعبر من العالم الحيواني– والرابع –المحمول آفة العصر–، أما البقية عبارة عن أدب الطبيعة والرحلات ومطارحات أخوية.

المطلب الأول: اللغة والأسلوب:

أ– اللغة:

لا نقصد بذلك المصطلح دلالته المعجمية التي هي: "اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]، وإنما نقصد به معناه الاصطلاحي؛ أي كيف تعامل الشاعر مع اللغة؟ وكيف عبّر بها عمّا يجول في خاطره ومكنونته؟ وماهي اللغة التي استعملها؟ وما نوع التعبير؟

من خلال هذا المصطلح وما يحمله من دلالة اصطلاحية نستطيع أن نكشف عن الكثير مما يزخر به شعر سليمان دواق.

لم تكن لغة الشاعر غامضة أو موحشة، بل كانت بسيطة ومفهومة، أغلبيتها لا تحتاج إلى معجم أو قاموس لشرحها، فهو يحاول أن يوصل رسائله قدر المستطاع إلى معاصريه ومن زامنه، وذلك ما رأيناه في المبحث الثاني من موضوعات السخرية.

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان:

قل للطبيب الذي يسدي نصائحه لغيره امتـــثل للنصـــح تحتـــرم
بذا تكون مثالا يقتـــدى أبـــدا فالعلم ينشره تطبيـــق ملتـــزم
فلا تلم صاحب الإكرام في سفـــه إن كنت جئت بلا فرشاة. لا تلم[2]

الشاهد على سهولة وبساطة لغة الشاعر تلك الأبيات، بحيث نجدها عصريّة يفهمها كل قارئ، ولكن لا تخلو قصائده من كلمات قديمة معدودة وقليلة مثال على ذلك: يسدي، يقتدى، سفه.

[1]– مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث)، المعجم الوسيط، ص: ٨٣١.

[2]– سليمان بن عمر دواق، نوادر تربوية ومشاعر حميمية، ص: ١٢.

ب– الأسلوب:

في معناه اللغوي: الطّريق. ويقال سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه. وطريقة الكاتب في كتابته. والفنّ. يقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة. والصفّ من النخل ونحوه. (ج) أساليب[1].

أما معناه الاصطلاحي فهو قريب جدّا من اللغوي خاصة في العبارة (طريقة الكاتب في كتابته)، فهو يهتم بالخصائص الواردة في النص منها: الأسلوب الخبري والإنشائي.

كل النصوص مهما كانت نوعها نجدها تتكون من الأسلوبين الخبري والإنشائي، بهما يتألف النص، وبهما يؤدي معانيه. في الديوان نجد ذلك، فيه تنوع بين الأسلوبين، أمثلة على ذلك:

١) الأسلوب الخبري: "فالخبر ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابقا له فهو كاذب"[2]

في الديوان أساليب خبرية كثيرة نذكر منها:

ما ضرّه لو تغاضى عن نجاستها وأعطى حضرتها ما ترجو من أرب[3]

نلاحظ في هذا البيت أسلوب خبري، غرضه التوبيخ بطريقة ساخرة، وبّخ فيه الشاعر المصلي الذي كان يخرج القطة من المسجد عدة مرات مخافة من نجاستها لطهر المكان، فلم يفكر أن يرفق بها ويلبي ما بها من حاجة.

ويقول أيضا:

تذكّر الموت والآجال عاجلـــة ولن يفيدك ما أظهرت من صلف[4]

---

[1]– مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث)، المعجم الوسيط، ص: ٤٤١.

[2]– علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران، الجزائر، د.ت، ص: ١٣٩.

[3]– سليمان بن عمر دواق، ص: ٩.

[4]– المرجع السابق، ص: ١٩.

في ذلك البيت أسلوب خبري غرضه التحذير، فالشاعر يحذّر المتكبر من الموت فهو يأتي فجأة لا مفرّ منه، فلن ينفعه تكبره أمام الله تعالى.

الديوان مليء بالأسلوب الخبري، فالبحث لا يسع أن نذكرهم كلهم، ولكن نكتفي بالمثالين السابقين، ونذهب مباشرة إلى الأسلوب الإنشائي.

٢) الأسوب الإنشائي: "والإنشاء ما لا يصح أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب"[١]، وينقسم إلى نوعين: طلبي وغير طلبي.

يقول الشاعر:

ألست حامل خبث في الحشا نجس ينمّ عنه قبيح الرّيح في قـرف؟[٢]

في هذا البيت أسلوب إنشائي، نوعه طلبي، أما غرضه الاستفهام، فالشاعر يسخر من الذي أصابه مرض الكبر بطريقة استفهامية لا ينتظر منه الجواب، فقط يريد إخباره بما يحمله جسمه من الوسخ.

ويقول أيضا:

أيها المشفقون جهـــلا على من ما لهم في الزّواج أي نصـيب[٣]

أسلوب الشاعر فذلك البيت إنشائي، نوعه طلبي، غرضه النداء، يسخر من الذين أقاموا حفل زواج لحمارين على أنهم جهّال، لأن الحيوان ليس له نصيب في فريضة الزواج، فهو غير مكلّف.

ويقول أيضا:

نِعم الجليس. تودّ لو فارقـــته يوما، تعود إليه أنت المغـــرم[٤]

---

[١]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: ١٣٩.

[٢]- سليمان بن عمر دواق، ص: ١٨.

[٣]- المرجع السابق، ص: ١٥.

[٤]- المرجع السابق، ص: ٢١.

أسلوب ذلك البيت إنشائي، نوعه غير طلبي، أما غرضه المدح، فالشاعر يمدح الذي في حواره متأدّب، من يجلس معه ويفارقه سيشتاق إليه لما يملكه من ثقافة الحوار.

ويقول الشاعر أيضا:

فقلت واعجبا من عصرنا فلقد صار المصاب سليما، يا لِذا القدر![1]

في ذلك البيت أسلوب إنشائي، نوعه غير طلبي، غرضه التعجّب، الشاعر يتعجّب ممّن يتكلم في الشارع بأعلى صوته في الهاتف.

الأسلوب الإنشائي في الديوان كثير، نكتفي بتلك الأمثلة، ونذهب مباشرة إلى المطلب الثاني.

المطلب الثاني: المحسنات البديعية:

إنّ من مقومات الشعر المحسنات البديعية، بها يستطيع الشاعر أن ينقل جمالية شعره وإبداعاته إلى المتلقي ليستعذبه ويتذوقه، فهي الناقل الأمين لأحاسيس الشاعر وعواطفه. فللمحسنات البديعية أنواع عدّة، منها لفظية وأخرى معنوية، سنتطرق إليهما وسنكتفي بمثال لكل محسّن.

١) **المحسنات اللّفظية:** "هي الجناس، والسجع، والموازنة، والتّشريع، والاقتباس، ولزوم ما لا يلزم، ورد العجز على الصدر وغيرها"[2]. إلا أن الأكثر استعمالا هو: السجع و الجناس والاقتباس.

أ– الجناس: "أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى"[3]. وهو نوعان: تام وغير تام؛ فالتام ما اتفق فيه اللّفظان في الحروف نوعها، وترتيبها، وشكلها، وعددها. أما غير تام ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الشروط السابقة.

---

[1]– سليمان بن عمر دواق، ص: ١٠٣.

[2]– الدكتور إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصّل في علوم البلاغة، ط: ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م، ص: ٦٤٠.

[3]– علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: ٢٦٥.

يقول الشاعر:

دعوتموني لوصل عبر مَحْمُولِ ووصلكم لفؤادي خير مَأْمُولِ[1]

الجناس في ذلك البيت يتمثل في اللفظين: محمول و مأمول، نلاحظ أنهما يتفقان في عدد الحروف، وشكلها، وترتيبها، ولكن اختلفا في نوعها. نقول عنهما: جناس غير تام.

أما الجناس التام فلا وجود لمثال له في الديوان.

ب– السجع: "توافق الفاصلتين في الحرف الأخير"[2].

يقول الشاعر:

أدب الحوار ثقافة تتعلـــم فلئن ظفرت بها فأنت الأعلم[3]

فنلاحظ في البيت أن الصدر ينتهي بحرف الميم والعجز بالميم، فالسجع هنا هو توافق الحرف الأخير من الصدر مع الحرف الأخير من العجز.

ج– الاقتباس: "تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما"[4].

يقول الشاعر:

مستغيـــثا بحضـــور كي يروا إجـــرام عاد[5]

---

[1]– سليمان بن عمر دواق، ص: ١٠٥.

[2]– علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: ٢٧٣.

[3]– سليمان بن عمر دواق، ص: ٢٠.

[4]– علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: ٢٧٠.

[5]– سليمان بن عمر دواق، ص: ١٣.

الشاعر يقتبس كلمة من القرآن وهي: عاد، فعاد قوم ذكرهم الله في كتابه العزيز، وقص علينا قصصهم، فالشاعر اقتبس تلك الكلمة لمعناها، حيث القط الذي اعتلى الكرسي لينزع السلطة من المدير شبهه الشاعر بقوم عاد الذين وصفهم الله أنهم طغوا في البلاد.

٢) المحسنات المعنوية: "هي المبالغة، والتجريد، والتقسيم، والتفريق، واللّف، والنشر، والتورية، والمزاوجة، والإرصاد، ومراعاة النظير، والمقابلة، والطباق، وتجاهل العارف ..."[١]، فالأكثر استعمالا وتداولا هي: التورية والمبالغة والطباق.

أ- التورية: "أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان؛ قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفيّ هو المراد"[٢].

يقول الشاعر:

فــلا تكن هِبةً للهو تعبــده ولا تكن قدوة في الحمق للجيل[٣]

فالتورية في ذلك البيت تتمثل في كلمة هبة، الشاعر أشار إليها أنّها لقب لصديق له، فهذا هو المعنى الظاهر الغير المراد.

أما المعنى الآخر الخفي والمراد هو: لا تكن هبة للهو تعبده؛ أي لا تكن مسخّرا للهو تعبده.

ب- المبالغة: "أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه أدنى منازله، وأقرب مراتبه"[٤].

يقول الشاعر:

---

[١]- الدكتور إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصّل في علوم البلاغة، ص: ٦٤٠.

[٢]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: ٢٧٦.

[٣]- سليمان بن عمر دواق، ص: ١٠٦.

[٤]- الدكتور إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصّل في علوم البلاغة، ص: ٦٣٦.

جاءت تريد أجورا في بكورتها لكنها حرمت ظلما فلم تصب[1]

المبالغة في ذلك البيت تتمثل في القطة التي دخلت المسجد فجرا، فالشاعر بالغ في وصفها أنّها تريد صلاة الجماعة لتحظى بأجرها. فالأصل أن الحيوان غير مكلّف، فدخولها إلى المسجد لأن بابه مفتوح فقط، لا تعرف الصلاة ولا الأجر.

ج- الطباق: "الجمع بين الشّيء وضدّه في الكلام"[2]، وهو نوعان: طباق موجب، وطباق سالب.

يقول الشاعر:

أيا تراه سليم العقل كامله أم يا تراه مصاب بالغ الخطر؟[3]

الطباق في ذلك البيت يتمثل في الكلمتين: سليم ومصاب، الأولى ضد الثانية في معناها، فنوع الطباق: موجب.

المطلب الثالث: العاطفة والخيال:

العاطفة والخيال بمثابة الروح والماء للجسد، كليهما لا يستطيع الأدب أن يستغني عنهما، فالروح هي العاطفة؛ فهي أوْلى للجسد من الماء، لأن الماء يستطيع الجسد أن يصوم عنه بضعة ساعات، ولكن الروح مجرد غيابها عنه ثانية فمصيره الموت لا محالة.

فنحاول الآن رصد العاطفة والخيال في الديوان، ونستخرج لكل نوع منهما مثالا.

أ- العاطفة: لا أدب بدون عاطفة، فمجرد خلو نص من العاطفة يخرج مباشرة من نطاق الأدب، فهي النواة الأولى لأي نص أدبي، بها يستطيع الأديب أن يدخل إلى قلب القارئ فيزرع فيه بذوره، كلّما كانت قوة كلما استطاع أن يؤثر بشدة على القارئ.

---

[1]- سليمان بن عمر دواق، ص: ٩.

[2]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: ٢٨١.

[3]- سليمان بن عمر دواق، ص: ١٠٣.

فالسخرية من خلال الديوان؛ كلها عبارة عن نصائح وعبر يقدّمها الشاعر للمتلقي ليصلح بها ذاته إن وجد فيها خلل.

للشاعر عاطفة جيّاشة، يريد بها إصلاح نفسه ومجتمعه ووطنه، فقدم من خلالها رسائل أخلاقية وتربوية واجتماعية وسياسية عدّة ليصحح ويقوّم بها ما رآه فاسدا ولا يصلح للعيش في هذه الحياة، هنا يظهر مدى حبّ الشاعر لوطنه ومجتمعه، فمن خلال ما تقدّم في المبحث الثاني نكتشف ذلك تحت ضوء موضوعات السخرية في الديوان.

يقول الشاعر:

قل للطبيب الذي يسدي نصائحه لغيره امتثل للنصـــــــح تحتـــرم

بذا تكون مثالا يقتـــــــدي أبـدا فالعلم ينشره تطـــبيق ملتـــــــزم[1]

بعد قصة الطبيب مع القطة، الشاعر ينصح الطبيب بأن يمتثل بعلمه ونصائحه لكي يكون قدوة للآخرين، ويلقى احتراما منهم.

ب– الخيال: هو من مقوّمات الأدب، حيث يعتبر وسيلة تأثير على المتلقي، فالأديب يحاول به أن يعبّر عما يجول في خاطره بطريقة لا وجود لها بالفعل، فهو أيضا وسيلة جماليّة ليشد به اهتمام القارئ ويؤثر فيه.

فالخيال في الديوان هو تجسيد لعلم البيان: كالتشبيه، والاستعارة، والمجاز وغيرها. سنحاول أن نذكر لكل واحد مثالا من الديوان.

١) التشبيه: "بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة"[2].

[1]– سليمان بن عمر دواق، ص: ١٢.

[2]– علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: ٢٠.

يقول الشاعر:

إنّها العدوى أصـــابت قلب قط كالعبـــاد[1]

عندما اعتلى القط كرسيّ المدير لينزع منه السلطة في زمن الانقلابات السياسية في الدول العربية خاصة، شبّه الشاعر القط بالإنسان، حيث أصابه عدوى الكراسي، فأحدث انقلابا على المدير. فالمشبه هو القط، والمشبه به هو العباد، وأداة التشبيه الكاف، أما وجه الشبه فهو عدوى الكراسي.

وللتشبيه عدة أنواع: المرسل، المؤكد، المجمل، المفصّل، والبليغ. ولكن نكتفي بالمثال السابق لكثرته في الديوان، ونوعه: تشبيه مفصّل.

٢) الاستعارة: "تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي"[2]. وهي قسمان:

- ذكر المشبه وحذف المشبه به؛ تسمى: استعارة مكنية.
- ذكر المشبه به وحذف المشبه؛ تسمى: استعارة تصريحية.

يقول الشاعر:

كـــــأنه يتحدّاني بجرأتـــه وقد درى أنّني بالفعل لم أقم[3]

نجد في ذلك المثال استعارة مكنية، فالشاعر شبه القطة بالإنسان، فحذف المشبه به وهو الإنسان، وترك قرائن تدل عليه وهي: التحدي، الجرأة، الدراية.

ويقول أيضا:

---

[1]- سليمان بن عمر دواق، ص: ١٣.

[2]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: ٩٨.

[3]- سليمان بن عمر دواق، ص: ١١.

فذا جهاز يصيب المرء في بدن مدمّر لخلايا الجسم من شرر[1]

الاستعارة في ذلك البيت مكنية، حيث ذكر المشبه وهو الجهاز، وحذف المشبه به وهو المرض، وذكرت قرائن تدل عليه وهي: يصيب، مدمر.

٣) المجاز: له قسمان: مرسل وعقلي.

أ- المجاز المرسل: "كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[2].

فللمجاز المرسل علاقات عدة وهي: "السببية، المسببية، الجزئية، الكلية، اعتبار ما كان، اعتبار ما يكون، المحلية، الحالية"[3].

يقول الشاعر:

إن تعجبوا فاعجبوا من أمّة رغبت عن الصلاة فلم تخشع ولـم تتب[4]

ورد في ذلك البيت كلمة أمة؛ فالشاعر لا يقصد بها الأمة بأكملها بل بعضها، فلا يمكن للأمة الإسلامية بأكملها أن تتقاعس عن الصلاة، فالمراد هنا الجزء من الكل، فعلاقة المجاز هنا: الكلية.

وقال أيضا:

أصـــــبح الكرســـيّ يغري باضطـــــــــهاد في البـــــلاد[5]

الكرسيّ يراد به الحكم ولذّة السلطة، وليس الكرسيّ نفسه، فهنا علاقة المجاز: المحلية.

---

[1]- سليمان بن عمر دواق، ص: ١٠٤.

[2]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: ١١٠.

[3]- المرجع السابق، ص: ١١٠.

[4]- سليمان بن عمر دواق، ص: ٩.

[5]- المرجع السابق، ص: ١٣.

ب– المجاز العقلي: "هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له العلاقة مع قرينه مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي.

الإسناد المجازي يكون إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل"[1].

يقول الشاعر:

ولم يجد غير شخصي طالما عزفت عنه الحبيبة، أو كانت من الصّوم[2]

لا يمكن للحيوان أن يصوم، فالصوم مكلّف به الإنسان فقط، المراد من الصوم في ذلك البيت هو: امتناع القطة من ممارسة العلاقة مع القط، فالمجاز هنا قام على علاقة إسناد إلى سبب الفعل.

وفي ختام هذا المبحث نقول:

- ✓ أسلوب دواق يتميّز بالعفوية والبساطة وقوة الألفاظ، التي تؤثر في القارئ وتشدّ اهتمامه دون أن يشعر بطريقة ساخرة يدعوا من خلالها إلى الإصلاح.
- ✓ استعمل المحسنات البديعية دون تصنّع؛ بل يكاد القارئ أن لا ينتبه لها لانسجامها وتناسقها مع الموضوع.
- ✓ لدى الشاعر أسلوب جمالي ساحر، من يقرأ له لن يملّ من قصائده، أسلوبه جذاب، وتعبيره عذب.

[1]– علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: ١١٧.

[2]– سليمان بن عمر دواق، ص: ١١.

خـــاتمـــة

خاتمة:

إلى هنا نأتي إلى ختام هذا البحث، آملين أننا حاولنا أن نجيب على الإشكالات التي ذكرت في البداية، والتي بها توصلنا إلى النتائج التالية:

- ❖ سليمان بن عمر دواق هو أبرز شعراء الجزائر حديثا، خاصة في منطقة غرداية، فعلى الباحثين الالتفاف حول أدبه والخروج به إلى الوطنية بل حتى العالمية.
- ❖ ليس من السهل كتابة قصائد بأسلوب السخرية، فسليمان دواق استطاع أن ينتهج طريق السخرية ويضع فيه بصمته الخاصة.
- ❖ لدواق جرأة في الكتابة، فهو يستغل كل مشهد يمر أمامه إذا أتيحت له الكتابة فيه.
- ❖ لدواق أسلوب متميّز عن غيره، فهو بمثابة شاعر فحل لجمال أسلوبه ورونق عباراته.
- ❖ لم تكن السخرية في شعر دواق تقدح شخصا أو تعيب إنسانا، بل كانت كلها إصلاحية إرشادية، غرضها وطن خال من الفساد.
- ❖ لسخرية دواق مواضيع عدة، اجتماعية وسياسية وأخلاقية وتربوية، استطاع بها أن يصحح ما يراه غير صالح.
- ❖ دواق دائما يبحث عن الداء ليوفّر له الدواء، من خلال تعابير ساخرة توقف ذلك المرض وتداويه.
- ❖ الشاعر دواق يسعى دائما ليرسم الابتسامة من خلال قصائده، لينزع الحقد والكراهية من القلوب، ويبعث الأمل الدائم فيه.
- ❖ الشاعر دواق ليس شاعرا عاديا، بل يعتبر من أغزر الشعراء نتاجا، فله ١٦ ديوانا مطبوعا، ولازال هنالك ما هو مخطوط ينتظر الطباعة.
- ❖ إن أسلوب دواق بسيط وواضح، غرضه ليس الغموض أو الجمود، بل يريد أن يمرّر رسائله إلى كل الناس مهما كان مستواهم.
- ❖ يمتلك دواق خاصية الجذب، حيث نجد كتاباته تجذب القارئ ولا تتركه حتى يكمل الكتاب، فهي خاصية لا يمتلكها كل الأدباء بل قليل ما هم.

- ❖ لدواق نفس طويل في قصائده، نجده من خلال حدث بسيط يستطيع منه أن يمرر رسائل عدّة، ويقدّم توجيهات بأسلوب مضحك ومقنع.
- ❖ الأدب الجزائري لازال أرضا خصبة للباحثين، فهو يحتوي على كنوز دفينة، يحتاج إلى دارسين ليكتشفوها وينفعوا بها أنفسهم ووطنهم.

ختاما نأمل أن نكون قد وفقنا في استخلاص تلك النتائج وانجاح هذا البحث، ولا يسعنا إلا أن نقول: إن وفقنا وأصبنا فمن الله تعالى وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- ✓ القرآن الكريم.

١- ديوان نوادر تربوية ومشاعر حميمة، سليمان بن عمر دواق، د.ط، مطبعة الآفاق، غرداية، الجزائر، ٢٠١٤م.

٢- قاموس المحيط، ط: ٨، مؤسسة الرسالة، مجد الدّين بن يعقوب الفيروز آبادي، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣- لسان العرب، ابن منظور، الجزء (١)، ط: ١، درا الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٤- المعجم المفصّل في علوم البلاغة، الدكتور إنعام فوال عكاوي، ط: ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٥- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه و كامل المهندس، ط: ٢، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت، ١٩٨٤م.

٦- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث)، ط: ٤، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

المراجع:

١- الأدب الساخر، الدكتور نبيل راغب، د.ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

٢- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ط: ٣، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤٠٩-١٩٨٩.

٣- أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، مفدي زكرياء، جمعه وحققه: مصطفى بن الحاج بكير حمودة، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، ٢٠٠٣م.

٤- البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران، الجزائر، د.ت.

٥- تجليات السخرية في القصة العربية المعاصرة بين زكريا تومر والسعيد بوطاجين أنموذجان، زينة جواد و سهيلة طراريست، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، الجزائر، ٢٠١٣-٢٠١٤م.

٦- التصوير الساخر في القرآن الكريم، الدكتور عبد الحليم حفني، د.ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٢م.

٧- جماليات السخرية في أعمال رضا حوحو –أنموذجا-، بركو وهيبة و رابحي ليلة، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، الجزائر، ٢٠١٧/٢٠١٨م.

٨- دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، د. محمد بن قاسم ناصر بوحجام، ط: ١، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، شوال ١٤٣٢هـ/ سبتمبر ٢٠١١م.

٩- الدول المهمشة للكتابات الساخرة غير ديموقراطية، سعيد بن زرقة، المحور اليومي (www.elmihwar.com)، ٠٨فيفري ٢٠١٧م - ١٠:٥٥، نشر من قبل: نجيبة صيودة.

١٠- السخرية في الأدب الجزائري الحديث ١٩٢٥-١٩٦٢، الدكتور محمد ناصر بوحجام، ط: ١، جمعية التراث القرارة، الجزائر، ٢٠٠٤م.

١١- السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدكتور نعمان محمد أمين طه، ط: ١، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، القاهرة-مصر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٢- السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، آب/٢٠٠٣م.

١٣- السّخرية ودلالاتها في المجموعتين القصصيتين: "وفاة الرجل الميت" و "اللعنة عليكم جميعا" للسعيد بوطاجين، زهير محبوب، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، ٢٠١٢/٢٠١٣م.

١٤- السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، نزار عبد الله خليل الضّمورّ، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٥م.

١٥- شرح ديوان حسان بن ثابت، عبد الرحمان البرقوقي، ط: ٣، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

١٦- شعرية الهجاء السياسي –دراسة في شعر أحمد مطر-، هشام حمد الكساسبة، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١٦م.

١٧- الفكاهة في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، سراج الدين محمد، د.ط، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د.ت.

١٨- الفكاهة في مصر، الدكتور شوقي ضيف، ط: ٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م.

١٩- الفكاهة والسخرية في شعر أبي دلامة –قراءة في الصور البيانية-، أ.د. منتصر عبد القادر الغضنفري و زهراء ميسر حمادي، جامعة الموصل/كلية التربية، المديرية العامة لتربية نينوى، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، العدد/١٣، أيلول/٢٠١٣م.

٢٠- الفكاهة والضحك رؤية جديدة (عالم المعرفة)، الدكتور شاكر عبد الحميد، د.ط، مطابع السياسة، الكويت، ٢٠٠٣م.

٢١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ط: ٢، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٢- مفهوم التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية، فاتن حسين ناجي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية المجلد/٤-العدد١، د.ت.

٢٣- نزهة المجالس ومنتخب النفائس، الصفوري، الموسوعة الشاملة (www.islamport.com).

٢٤- الهجاء في الشعر العربي (موسوعة مبدعون)، سراج الدين محمد، د.ط، دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان، د.ت.